الوفـــاة الاكلينيكيـــة

وعلاقتها بخروج الـروح



أ.د / صلاح علي سند



الوفـــاة الإكلينيكيـــة

وعلاقتهـــا بخـــروج

الـروح

سند، صلاح علي
الوفاة الإكلينيكية وعلاقتها بخروج الروح/ صلاح علي سند.
ط١ - الجيزة : دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ، ٢٠٠٩ .
١٦٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ٢ ١٢٣ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الموت - طب
أ- العنوان
٦١٦,٠٧٨

الوفاة الإكلينيكية
وعلاقتها بخروج
الروح

دراسة بين الطب والدين

أعدها:

أ.د. صلاح علي سند

أستاذ أمراض النساء والتوليد

كلية الطب - جامعة القاهرة



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

رقم الإيداع
١٤٩٥١ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولى
٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-١٢٣-٢

الطبعة الأولى

مطابع العبور الحديثة
ت: ٤٦٦٥١٠١٣٠ ف: ٤٦٦٥١٥٩٩

الكتاب : الوفاة الإكلينيكية وعلاقتها بخروج الروح
المؤلف : صلاح علي سند
الغلاف : سميرة الكردي
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٣٠٢٧٩٦٥- ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

إهـداء

•••••••

أهدي هذا العمل:

- إلى روح والدتي ووالدي اللذين كان عطاؤهما وحنانهما بلا مقابل.
- إلى زوجتي وبناتي اللاتي عانين أثناء إعداد هذا الكتاب.

وإهداء خاص للأساتذة الأجلاء:

- أ.د. أحمد شوقي إبراهيم.
- د. يوسف القرضاوي.
- د. مصطفى محمود.
- د. السباعي حماد: أستاذ التشريح والأنسجة والأجنة.

فقد كانت كتبهم وحيًا لفكرة هذا العمل.

أ.د. صلاح علي سند

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٤٢)﴾ (الزمر: ٤٢).

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ(٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ(٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَا تُبْصِرُونَ(٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ(٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٨٧)﴾ (الواقعة: ٨٣-٨٧).

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ(٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ(٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ(٢٨)﴾ (القيامة:٢٦-٢٨)

مقدمة

دفعني للبحث والكتابة في هذا الموضوع الشائك الجدال المُثار حول حقيقة موت المخ. وهل يسوغ رفع أجهزة التنفس الصناعي المركبة على أشخاص ميتين دماغيًّا أم لا؟ ووجدت أن ارتفاع نبرة الخلاف بين المؤيدين والمعارضين قد حدث في معظمه بسبب ثلاثة عوامل رئيسية:

أولها: الخلط بين الغيبوبة وموت المخ:

فكون الإنسان في غيبوبة بسبب توقف بعض أجزاء المخ عن العمل، وقد يفيق منها الإنسان لا يعني أنه ميت دماغيًّا. فالغيبوبة هي علامة واحدة فقط من علامات موت المخ الكلي والتي وضع الطب الحديث قواعد تشخيصه. وفي هذه الحالة لا يستطيع الإنسان أن يفيق من هذه الغيبوبة.

ثانيها: التخوف من فتح الباب للتجارة في الأعضاء لمصلحة القادرين ماليا:

وهذا مردود عليه بوضع القوانين والتشريعات الكافية والحزم والجدية في تنفيذها. وبالعكس من هذا التخوف فإن توفير مصدر لنقل الأعضاء من إنسان ميت قد يساهم في تقليل تجارة الأعضاء من الأحياء.

ثالثها: غياب الفهم الحقيقي لحقيقة الموت والحياة:

والذي يعود بدرجة كبيرة إلى عدم إدراك الفرق بين سر حياة جسد الإنسان وآثار وجود الروح فيه. فالله سبحانه وتعالى خلق جسد آدم من عنصر مادي هو الطين. ثم سواه: أي جعل له الإمكانات الجسدية التي تؤهله لنفخ الروح فيه ليتحمل الأمانة. وأهم هذه المؤهلات هو المخ المتطور الذي يستطيع أن يظهر أهم أثر من آثار نفخ الروح في الإنسان وهو العقل المفكر الذي يختار بين البدائل. ويعمر الأرض. ويتعرف على الله سبحانه

وتعالى. فمنذ خلق الإنسان الأول هناك مرحلتان هما مرحلة خلق الجسد وتسويته، ثم مرحلة نفخ الروح، ولكي يستمر وجود الإنسان في الكون حتى يحقق مراد الله سبحانه وتعالى من خلقه جعل الله عز وجل في صلب جسد آدم النطفة الحية (الحيوان المنوي) التي تجتمع مع نطفة المرأة الحية (البويضة) لتكوين النطفة الأمشاج (البويضة الملقَّحة)، والتي تستمر في الحياة داخل رحم الأم حتى إذا تمت تسويتها داخل الرحم بعث الله ملَكًا لينفخ الروح في هذا الجنين الحي بسر النطفة الحية.

وإذا فهمنا أن الموت هو نقيض الحياة فلا يسعنا إلا أن ندرك أن الموت يتكون من جزأين هما مغادرة الروح للجسد، وتوقف الجسد (الموروث حيًّا من الأبوين) عن الحياة، ثم لا يسعنا إلا أن نتساءل هل هما يحدثان معًا أم يسبق أحدهما الآخر عند الموت؟ وبالتالي إذا استطعنا أن نبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الإجابة على هذا السؤال الشائك، فربما استطعنا إدراك استمرار وجود الروح في جسد الميت دماغيًّا أو مغادرتها له، مما يساهم بدرجة كبيرة في فهم حقيقة عمل القلب وبعض أنسجة الجسم الأخرى بالاعتماد على العقاقير وأجهزة التنفس الصناعي بعد موت المخ، كما يسهل اتخاذ قرار برفع أو عدم رفع هذه الأجهزة.

وبذلك قد نستطيع أن نساهم في تقليل قلق الأهل وتوترهم النفسي، وأن نقدر الجدوى من التكاليف الباهظة لأجهزة التنفس الصناعي، كما قد نساهم في حل بعض قضايا الميراث والقضايا الجنائية المتعلقة بالميت دماغيًّا، وأخيرًا البحث في إمكانية نقل عضو من الإنسان الميت دماغيًّا لآخر يحتاجه.

وتسهيلا على القارئ في مطالعة الكتاب. فهذا الكتاب يتكون من ثلاث أقسام:

القسم الأول: يتكون من ثلاثة فصول كتمهيد لموضوع الكتاب. وهي تعطي نبذات موجزة عن الروح. والعلاقة بين القلب والتنفس والمخ. بالإضافة إلى مفهوم الموت في الحضارات الإنسانية.

القسم الثاني: يتكون من سبعة فصول. هدفها البحث في سبق مغادرة الروح لجسد الميت دماغيًا. وإمكانية رفع أجهزة التنفس الصناعي المُركبة عليه.

القسم الثالث: يتضمن التعليق على ثلاثة عشر سؤالا تمثل النقاط الطبية التي ما زالت محل خلاف بين البعض في تشخيص موت المخ.

وفي نهاية هذه المقدمة لا أستطيع أن أغفل حق المراجع القيمة التي استفدت منها كثيرًا لاستكمال هذه الدراسة. وقد ذكرتها في مواضع الإفادة منها داخل البحث. كما أجملتها بعد نهاية الدراسة بترتيب ورودها. كما أقدم تحية واجبة للزملاء الذين ساعدوني أثناء إجراء هذا البحث وكتابته. خاصة لدكتور "سعيد سماحه عوض" مدرس الحديث بكلية أصول الدين بني سويف- جامعة الأزهر. الذي ساهم بمجهود وافر في تخريج الأحاديث الشريفة المذكورة في الكتاب.



القسم الأول

إن الموت حق وهو مصير كل حي ولو كان رسولًا أو ملكًا مقرَّبًا. وهو يصرع الجبابرة بنفس السهولة التي يصرع بها الأقزام. ويقهر بها المتسلطين كما يقهر المستضعفين سواء. وساعة الموت إذا حضرت فلا دافع لها ولا رجعة إلى الحياة من بعدها. ولا يمكن لمخلوق- أيًّا كان- أن يقدم لحظة الموت أو يؤخرها عما قدره الله لها: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. (النحل: ٦١).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحض على ذكر الموت دائمًا: "أكثروا ذكر هاذم اللذات"[1]. وذلك لأن المؤمن الذي يرقب الموت تكون أعماله نقية طاهرة؛ لأنه يعلم أنه مُقبل على الله لا محالة. وأن الله يرصد أعماله ويحصيها عليه. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا وأكيسهم أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم له استعدادًا أولئك الأكياس"[2]. ولكن لا ينبغي أن يظن أن ذكر الموت والاستعداد له يتعارض مع الدعوة إلى عمارة الكون ودفع عجلة الحياة. فعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة. فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[3].

وقبل الخوض في البحث عن حقيقة الوفاة والموت رأيت أنه من الضروري ذكر نبذة موجزة عن الروح، ومقدمة طبية مبسطة لنفهم العلاقة بين القلب (الجهاز الدوري) والتنفس (الجهاز التنفسي) والمخ (الجهاز العصبي). بالإضافة إلى مفهوم الموت في الحضارات الإنسانية.

---

[1] الحديث: أخرجه الترمذي (٢٣٠٧/٤) في الزهد/ باب: ما جاء في ذكر الموت. وابن ماجة (٤٢٥٨) في الزهد/ باب: ذكر الموت والاستعداد له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢١٠) والمشكاة (١٦٠٧) والإرواء (٦٨٢) وصحيح سنن الترمذي (١٨٧٧).

[2] الحديث: رواه البيهقي في الزهد الكبير (٢/٥٢). وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٢/٣): حسن بمجموع الطرق.

[3] الحديث: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١١/١): رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩) وأحمد (١٨٣/٣، ١٨٤، ١٩١) والطيالسي (٢٠٦٨) وابن الأعرابي في معجمه (ق ١/٢١) وقال: هذا سند صحيح على شرط مسلم.

أولا: نبذة موجزة عن الروح

عناصر خلق الإنسان:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من عنصرين:

الأول: الجسد:

وهو عنصر مادي أرضي يتكون من خلايا وأنسجة وأعضاء، عناصرها الأولية هي نفس العناصر الأولية الموجودة في الطين وفي كل المخلوقات ولكن بنسب مختلفة، وبعد الموت يتحلل هذا الجسد المادي في التراب إلى عناصره الأولية والتي قد تعود من جديد في دورة أخرى في أجساد أخرى - أي ذرات وعناصر أولية تدخل في تكوين نبات يأكل منه الخلق لينمو خلق جديد ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (ق: ٤).

الثاني: الروح:

وهي الحقيقة الإنسانية الثانية التي لا نعرف سرها وإن كنا نلمس أثرها، وهي محل التكليف والخطاب من الله سبحانه وتعالى، وهي التي أعطت للإنسان ملكة العقل الذي مكّنه من حمل الأمانة التي كلف الله عز وجل الإنسان بها، وهي سر إلهي غيبي لا مادي استأثر الله سبحانه وتعالى بالعلم عنه، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، وقد اختلف المفسرون في المقصود بالروح في هذه الآية، فمنهم من قال: إن المقصود هو الملك العظيم الذي ورد ذكره في سورتي النبأ والقدر: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨)، ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: ٤)، والبعض الآخر ذهب إلى أنها الروح التي تنفخ في الإنسان عند خلقه، فيكون المعنى هو أن الروح أمر يصعب على البشر أن يفهموه؛ لأنه أكبر من

علمهم وعقولهم، ومهما أوتي الإنسان من العلم لن يفهم حقيقة الروح وكنهها. ثم ذهب المفسرون بعد ذلك إلى شتى التفاسير، فمنهم من قال: إن هذا الرد معناه نهي المسلمين عن الدراسة والعلم بهذه القضية حتى لا يقع الناس في البلبلة والظنون وينشغلوا عن الدعوة الجديدة بأمور فلسفية. بينما ذهب الأكثرية إلى أنها لم تنص على القول «قل الروح من علم ربي»، بل نصت على «قل الروح من أمر ربي». والفارق بينهما واضح، فمعنى «أمر الله» هو مقدره وقضاؤه، مثل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ (هود: ٤٠) و﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠). وحتى إذا كان المعنى هو «الروح من علم الله» فإنه سبحانه وتعالى قد يُعلمنا بشيء من علمه بما شاء أن يعلمه للناس، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). وبالفعل هناك إشارات عديدة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الروح خاصة دخولها وخروجها من الجسد، وأرواح الشهداء في الجنة، والتقاء الأرواح في البرزخ وتذاكرها، وتزاوج الأرواح مع أجسادها عند البعث، وبذلك لم يتوقف علماء المسلمين عن الكتابة والدراسة في هذا الموضوع.

الدليل على وجود الروح:

أولا: الدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لا ينكر أي شخص مؤمن مطّلع على القرآن والسنة النبوية الشريفة وجود الروح بالجسد أو ارتباطها به، ولكن هناك بعض الماديين الذين ينكرون وجود الروح ويعتبرون الإشارات إليها شيئًا رمزيًّا، وإذا كان هذا رأيهم فكيف يفسرون قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠) ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧٠). وهذه الآيات تبين بجلاء أن الشهداء في البرزخ أحياء عند ربهم يُرزقون وهم فرحون بفضل الله وبقدوم إخوانهم، ويبشر بعضهم بعضًا بنعمة الله، وإذا كانت الأجساد قد ماتت وهلكت فإن الأرواح لا تموت، وإنما غادرت الجسد، وكثير من الأحاديث الشريفة تتحدث عن الروح بعد الموت، ومن هذه الأحاديث: «إن الميت يسمع قرع نعال مشيعيه إذا انصرفوا عنه»[1] فمن الذي يسمع بعد موت الجسد غير الروح؟، و«اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل»[2] فمن ذا الذي يُسأل بعد موت الجسد غير الروح؟ وحديث البراء بن عازب المستفيض عن قبض الروح عند الموت وصعودها إلى السماء ثم عودتها إلى الجسد للحساب في القبر، وحديث «أرواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم الله اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ فقالوا:

---

[1] الحديث: أخرجه البخاري (١٣٣٨) كتاب الجنائز/ باب: الميت يسمع خفق النعال ومسلم (٢٨٧٠) كتاب الجنة ونعيمها وأهلها/ باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

[2] الحديث: رواه أبو داود (٣٢٢١) كتاب الجنائز/ باب: الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف.

وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»[1].

ثانيا: الأدلة المادية على وجود الروح:

هناك من الملحدين واللادينيّين من ينكر وجود الروح ويعتبر الإنسان مكوَّنًا من خلايا بدنية فقط، ولكنهم يصطدمون بهذه الأدلة المادية:

[١] حالات الإدراك الحسي الخارج عن نطاق حواس الجسم:

التي تحدث لبعض الأشخاص مثل التخاطر، وهو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر قريب أو بعيد عنا، أو سماع نداء من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع، أو الرؤية عن بُعد خارج مجال حاسة البصر، وهذه الحالات تدل على أن هناك أشياء غير الجسد المرئي لها اتصالات لا تمنعها الحواجز ولا الموانع المادية[1،2].

[٢] التنويم المغناطيسي:

حيث يستطيع المنوَّم مغناطيسيًّا أن ينطلق ويرى أشياء على البعد يُخبِر بها الناس، بينما هو في مكانه، فبأي شيء ينطلق إن لم تكن هي الروح؟[3]

---

[1] الحديث: أخرجه مسلم (١٨٨٧) كتب الإمارة/ باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجة (٢٨٠١).
[2] انظر: الروح والنفس والعقل والقرين: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م
[3] انظر: الدار الآخرة والاستعداد للموت: فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهري - أعده للنشر الشيخ محمد أبو العباس - دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

[٣] في حالة النوم:

هناك أمثلة كثيرة لحالات رأى فيها النائم من يخبره بأشياء لم يكن هذا النائم يعرف عنها شيئًا أو استطاع أن يتوصل لحل مسألة أو مشكلة ما. فكيف يحدث هذا إذا لم تكن هناك روح تنطلق أثناء النوم لتصل إلى هذه المعرفة؟[١]

علاقة الروح بالجسد:

يعتبر الجسد مجرد آلة مؤقتة تستعملها الروح لأداء المهمة الموكولة إلى الإنسان في الحياة الدنيا حتى إذا جاء أجل الموت غادرت الروح الجسد عائدة إلى ربها؛ أي: أنها خالدة باقية لا تفنى، وهذا الجسد ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لهذه الروح، وهو الذي يشهد على صاحبه يوم القيامة، والروح التي كرمها الله عز وجل بإضافتها إلى ذاته سبحانه: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩، ص: ٧٢) هي روح علوية تأنس بالأعمال الصالحة والتقرب من الله سبحانه وتعالى، ولكنها نفخت في الجسد الذي هو مخلوق من تراب الأرض، وبالتالي فنزعاته تكون طينية شهوانية سفلية، وبما أن الجسد هو آلة الحياة الدنيا المادية فهو السيد الذي قد حبست داخله الروح اللامادية وغير المحدودة بمكان أو زمان. ولذلك فكأن يوم وفاة الإنسان المؤمن هو سبيل تخلص الروح من سجن الجسد الضيق وانطلاقها إلى حياة برزخية فسيحة بدون قيود المكان والزمان، وتعزى أكثر حالات الاكتئاب النفسي والتي قد تصل إلى الانتحار إلى عدم التوازن بين حاجات الروح العلوية وحاجات الجسد المادية الطينية، وأكثر هذه الحالات يكون لتغليب الجسد على الروح مثلما نجده في كثير من الحضارات المادية، وأقلها لتغليب الروح على الجسد ونسيان حظه في الدنيا مما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتضح هذا في قصة سلمان الفارسي رضي

---

[١] انظر: كتاب الروح: للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية - حققه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر - دار الفجر للتراث - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

الله عنه مع أبي الدرداء رضي الله عنه عندما قال سلمان لأبي الدرداء: «إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه». وعندما ذكر ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم قال: «صدق سلمان»[1].

علاقة الروح بالنفس:

اختلف العلماء في علاقة الروح بالنفس، «هل هما شيء واحد أم شيئان مختلفان؟» والغالبية مع كونهما شيئًا واحدًا أو قريبين جدًّا من بعضهما (مع وجود بعض الاختلافات)[2]. والدليل على ذلك إطلاق القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام كلمتي الروح والنفس بذات المعنى في ذات المواقف، مثل:

[١] أثناء النوم:

أطلق القرآن الكريم لفظ النفس على الملَكة التي تقبض أثناء النوم ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢). وفي ذات موقف النوم أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الملَكة التي تقبض، ثم ترجع أثناء النوم لفظ الروح، وذلك في قصة نومه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم راجعون من غزوة خيبر عند صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت، وكان قد أمر بلالًا أن يرقب لهم الفجر، فنام الجميع، ولمَّا استيقظ الرسول صلى الله عليه وسلم قال لبلال: «أي بلال!» فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك. وهذا الحديث ورد بلفظ النفس في صحيح مسلم، بينما ورد في صحيح البخاري أن رسول الله

[1] الحديث: أخرجه البخاري (١٩٦٨) كتاب الصوم/ باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (طرف الحديث في ٦١٣٩).

[2] انظر: الحياة البرزخية من الموت إلى البعث: محمد عبد الظاهر خليفة - دار الاعتصام - ١٩٨٣م.

صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه في هذا الموقف: «إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردَّها حين شاء»[1].

[٢] عند الموت:

حديث البراء بن عازب المستفيض عن قبض الروح وصعوده، ثم هبوطه من السماء فيه إطلاق لفظ النفس أثناء وجودها داخل الجسد، ثم لفظ الروح بعد قبضها، فيخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان: قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض قال: فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها - على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له.. فيفتح له فيشيعه في كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.. قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: مَنْ رَبُّك؟ ... باقي الحديث». وقال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة

---

(1) الحديث: أخرجه البخارى (٧٤٧١) كتب التوحيد/ باب: في المشيئة والإرادة، ومسلم (٦٨٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، والترمذي (٣١٦٣) كتاب تفسير القرآن/ باب: ومن سورة طه.

نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت فيجلس عند رأسه. فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب - قال: فتفرق في جسده - فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح. فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح له.. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجِّين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحًا - فتعاد روحه في جسده. ويأتيه ملكان فيجلسانه. فيقولان له: من ربك؟ ... باقي الحديث"[1].

[٣] شخوص البصر عند الموت:

أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه عند الموت فإن البصر يتبع (أو يشخص إلى) الروح أو النفس في الأحاديث التالية:

- عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة. وقد شق بصره فأغمضه. ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"[2]. وعن شداد بن أوس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر. فإن

(1) الحديث: رواه أحمد في المسند (١٨٤٤٣) (٢٠٢/١٤، ٢٠٣). وأبو داود (٤٧٥٣) كتب السنة/ باب: المسألة في القبر وعذاب القبر (٢٥٣/٤، ٢٥٤). والحاكم في المستدرك (١٠٧) كتاب الإيمان (٩٣/١، ٩٤، ٩٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. وقال: هو صحيح كما قالوا. - قال ابن القيم في كتاب الروح: هذا حديث ثابت مشهور صححه جماعة من الحفاظ. ولا أعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه. بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر.

(2) الحديث: أخرجه مسلم (٩٢٠) في كتاب الجنائز/ باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر. وأبو داود (٣١١٨). وأحمد (٢٩٧/٦).

البصر يتبع الروح وقولوا خيرًا، فإنه يؤمن على ما قال أهل البيت"[١].

- وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟ ". قالوا: بلى. قال: "فذلك حين يتبع بصره نفسه"[٢].

ويلاحظ أن الترجمة العبرية لكلمة الروح هي "نفيش" (Nephesh)، وإذا عرفنا أن حرف "الشين" في العبرية ينطق "سينًا" فهذه الكلمة تكون قريبة لكلمة "نفس" العربية[٣].

الروح من وجهة نظر علمية مادية:

هناك جدل في الديانات والفلسفات المختلفة حول الروح، بدءً من تعريفها، ومرورًا بمنشئها ووظيفتها إلى دورها أثناء وبعد الموت، وهناك اعتقاد شائع بأن للروح استقلالية تامة عن الجسد، وهو شيء غير ملموس ليس له ظهور جسدي أو مادي، ولا يمكن مشاهدة رحيلها من الجسد، وبالرغم من ذلك لم يكف العلماء على مر العصور عن البحث عن أدلة مادية لوجود الروح:

١. **هل للروح وزن؟**: في بدايات القرن العشرين حاول الطبيب الأمريكي دنكن ماكدوجل (Duncan MacDougall) قياس وزن الروح، وذلك بقياسه وزن شخص قبل وبعد الموت، واستنتج أن روح الإنسان تزن واحدًا وعشرين جرامًا، ولكن ملاحظاته وُصفت بأنها عديمة

---

[١] الحديث: رواه ابن ماجة (١٤٥٥) كتاب الجنائز/ باب: ما جاء في تغميض الميت (٢/١٢، ١٣)، وأحمد في المسند (١٧٠٧١) (٢٧٥/١٣، ٢٧٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

[٢] الحديث: أخرجه مسلم (٩٢١) في كتاب الجنائز/ باب: شخوص بصر الميت يتبع نفسه.

[٣] انظر الشبكة الدولية للمعلومات: الروح عند اليهودية
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8% B1% D9% 88% D8% AD

المعنى وغير علمية[١،٢].

٣. هل للروح مكان في جسم الإنسان؟: يبحث العلماء الآن في أسرار المنطقة الجانبية من المخ والمسمَّاة بالفص الصدغي(Temporal Lobe) وفي احتمال أن تكون مسئولة عن تنظيم الجانب الروحي في حياة الإنسان، وذلك بدراسة النشاط الكهربائي في هذه المنطقة وعلاقته بالتعلق بالأفكار الدينية والروحية.

[١] انظر: الروح والعلم القليل - مع موجز ونقد لكتاب الروح لابن القيم: د. السباعي حماد - ٢٠٠٧.

[٢] انظر الشبكة الدولية للمعلومات: الروح عند اليهودية
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8% B1% D9% 88% D8% AD

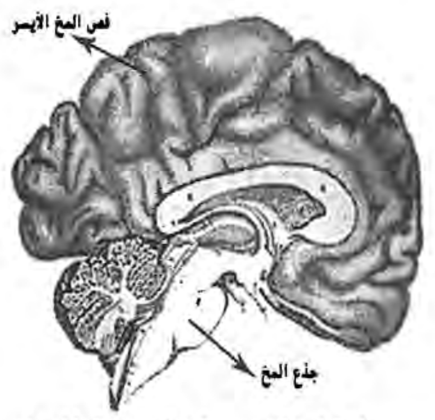
ثانيًا: مقدمة طبية مبسطة
"لشرح العلاقة بين القلب (الجهاز الدوري) والتنفس (الجهاز التنفسي) والمخ (الجهاز العصبي)"

أولا: القلب [الجهاز الدوري] والتنفس [الجهاز التنفسي]:

يوجد بالجسم حوالي خمسة لترات من الدم يقوم القلب بضخّها خلال الشرايين إلى سائر أعضاء الجسم بما فيها المخ، والدم هو حامل الحياة عن طريق كرات الدم الحمراء التي تحمل الأكسجين الذي يعتبر كالغذاء أو هو الوقود الرئيسي لكل خلايا الجسم، وبعد أن تنهي أعضاء الجسم المختلفة، "وجبتها الغذائية" تتجه خلايا الدم الحمراء إلى الأوردة حاملة معها الفضلات راجعة إلى القلب الذي يضخها إلى الرئتين لتحمِل مرة أخرى الأكسجين الذي تستمده الرئتان من الجو عن طريق التنفس (الشهيق والزفير)، ثم تعود خلايا الدم الحمراء مرة أخرى إلى القلب ليعيد ضخها إلى كل أنسجة الجسم، وهكذا دواليك، وبذلك نرى أن حياة سائر أعضاء الجسم بما فيها المخ تعتمد على عمل القلب والرِئتين اللذين يُمدّان الجسم بوقوده الحيوي.

ثانيا: المخ [الجهاز العصبي]:

يتكون المخ من بلايين الخلايا العصبية مستقرة في مواطن محددة مسئولة عن كل شيء نقوم به، وهو يتلقى الأحاسيس والمعلومات المختلفة عن طريق أعصاب طرفية (أكثر من أربعة عشر ألف مليون خط عصبي) ليقوم بتحليل هذه الرسائل، ويرد عليها بأجوبة وأفعال فورية كأن نحرك أيدينا بعيدًا عن الطبق الساخن أو أن نشعر بالألم الناتج من وخز مسمار في أرجلنا أو أن نفهم هذه الرسالة، ويقوم المخ بتخزينها في الذاكرة ليستعين بها في وقت الحاجة.



شكل (١): صورة تشريحية للمخ

ويتكون المخ من عدة أجزاء[١،٢]، أهمها:

١] فصا المخ الأيمن والأيسر [Cerebral Hemispheres]:

ويقعان في الجمجمة، وهذا الجزء هو الذي يميز الشخصية الفريدة لذات الإنسان، فيوجد به مراكز الإحساس المختلفة من ألم ولذة وبرودة وسخونة وغيرها، وهو المسئول عن تحريك عضلاتنا الإرادية مثل الذراعين والساقين وعضلات الوجه. والحواس المهمة في المخ لها مراكز محددة، فمثلًا المركز البصري يقع في مؤخرة الدماغ، ومراكز السمع واللمس على الجانبين، ومراكز الحركة في المنتصف، وهناك مناطق تُسمى مناطق اتخاذ القرار وهي التي يخرج منها القرار الأخير بعد مداولات تكون قد تمت في مناطق أخرى من المخ، وهي موجودة في الجزء الأمامي من المخ خلف الجبهة (لاحظ ارتباطها بكلمة الناصية في القرآن الكريم).

---

(1) Gray's Anatomy: Edited by Roger Warwick, Peter C. William, 35th edition – Longman Group Ltd, 1975 Edinburgh– Great Britain.
(2) Review of Medical Physiology: W.F. Ganong – Lange Medical Publications–9th edition – Los Altos – California, 1979.

وقد لُوحظ أن مخ الإنسان أكبر نسبيًّا من جميع المخلوقات الأخرى، وذلك يمكن تفسيره بانفراد الإنسان بملكة العقل التي أداتها المخ، وبالتالى انفراده بنشاطات خاصة معقدة مثل اختراع الكلام والقدرة على انتقال المعرفة، وأيضًا تميزه بالذاكرة التي تتيح للإنسان اختزان الخبرات والمهارات والمعارف، وبالتالي قدرته على اكتشاف العلة وراءها وابتكار الأدوات والقدرة على استخدامها. فهو يخترع طائرة ليطير بها في الهواء بدلا من الأجنحة، ويبتكر أسلحة يقهر بها الحيوانات المفترسة بدلاً من القوة العضلية الفائقة ....إلخ، وإجمالاً نقول: إن وجود مخ (وجهاز عصبي) بالغ التعقيد لازم للإنسان الذي يوصف بالعقل، وبالتالي فهو الكائن الوحيد غير الجن المكلف المسئول أمام الله سبحانه وتعالى لما أوتى من قدرة على التفكير والتأمل والوصول إلى الغاية من وجوده وهي الإيمان بالله عز وجل وشكره على ما أوجده من نعم لا تحصى، ولذلك رفع التكليف عن من لا عقل له كالطفل أو الشخص المصاب بتخلف عقلي أو من فقد عقله مؤقتًا أثناء النوم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يبلغ"[1].

ومما ذكرنا نرى:

١. الجهاز التنفسي يستمد من الهواء المحيط بنا الأكسجين، الذي يحرق الغذاء اللازم لحياة جميع أعضاء الجسم.

٢. القلب يضخ الدم لتوصيل الأكسجين والغذاء اللازمين لحياة جميع أعضاء الجسم.

٣. المخ يعطي الأوامر ليحدث التنفس وينظم خفقان القلب.

---

[1] الحديث: رواه أبو داود في سننه (٥٦٠/٤).

ولذلك:

أ) إذا توقف التنفس تموت جميع أعضاء الجسم (بما فيها القلب والمخ).

ب) إذا توقف القلب: تموت جميع أعضاء الجسم (بما فيها عضلات التنفس والمخ).

ج) إذا توقف المخ: يتوقف التنفس، ويضطرب عمل القلب، ثم يتوقف القلب لتوقف التنفس ولتوقف الأوامر الآتية إليه من المخ لتنظيم نبضاته.

وهذه هي العلاقة بين الثلاثي المتألق: الجهاز الدوري والتنفسي والعصبي، وبذلك نستطيع أن نرى أن حياة الإنسان ككل (حياة الجسد) تعتمد على حياة هذه الأجهزة الثلاثة الحيوية (الحياتية) الأساسية، وهي تعمل بطريقة تكاملية، ولذلك فتوقف الحياة في أي جهاز من هذه الأجهزة الثلاثة يؤدي إلى توقف الحياة في الجهازين الآخرين، وبالتالي موت الجسد ككل، وهنا يمكن تشبيه علاقة حياة الإنسان بهذه الأجهزة الثلاثة بكرسي ذي ثلاثة أرجل، إذا كسر واحد منها وقع الكرسي.

ويفرق الطب بين موت الأجزاء المختلفة للمخ[1] كالآتي:

١. موت فصي المخ [أو قشرته] مع بقاء جذع المخ سليما: [Cerebral Death]

يؤدي إلى غيبوبة تامة، ولكن هذا الإنسان يستطيع أن يتنفس وقلبه ينبض، ويستطيع أن يفتح ويغمض عينيه ويحرك عضلات وجهه كرد فعل انعكاسي لمؤثرات مختلفة، كما يستطيع أن يبلع الطعام، وقد تم تسجيل حالات أفاقت من هذه الغيبوبة بعد فترات قصرت أو طالت، ولكن هذا يمكن أن يحدث فقط إذا لم يكن فصّا المخ وقشرته قد خربت

[1] **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

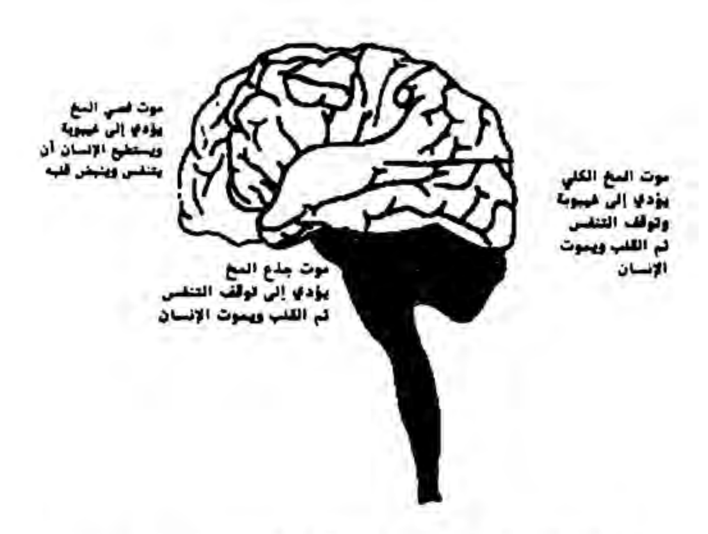
تخريبًا تامًّا. وفي هذه الحالات التي أفاقت بعد الغيبوبة يعيش الإنسان في معظم الأحيان بعجز مستديم حسب المراكز المخية التي ماتت مثل الشلل الكلي أو الجزئي، أو عيوب في النطق أو قصور الذاكرة أو غيرها. وهذه الحالة لا يعتبرها الأطباء موتًا للإنسان؛ لأنه يستطيع أن يتنفس بدون أجهزة صناعية وقلبه ينبض بدون الاعتماد على العقاقير.

٢. موت جذع المخ: [Brain Stem Death]

يؤدي إلى الموت مباشرة لتوقف التنفس والدورة الدموية. إلا إذا تدخلنا سريعًا واستطعنا المحافظة على خفقان القلب بواسطة أدوية تُحقن وريديًا طوال الوقت بالإضافة إلى أجهزة التنفس الصناعي التي تضخ الأكسجين إلى الرئتين وهذا الإنسان المُركّب على أجهزة التنفس الصناعي بعد موت جذع المخ يظل في غيبوبة لأن جذع المخ يرسل أليافًا عصبية إلى قشرة المخ تشارك في منظومة اليقظة. كما يظل هذا الإنسان معتمدًا على الأجهزة التي إذا توقفت توقف التنفس والقلب.

٣. موت المخ الكلي: [Whole Brain Death]

وهذا بالطبع يؤدي إلى الموت مباشرة إلا إذا تدخلنا أيضًا سريعًا بأجهزة التنفس الصناعي والأدوية التي تحافظ على خفقان القلب. وفي هذه الحالة يظل الإنسان في غيبوبة تامة وشلل معتمدًا كليًّا على الأجهزة التي إذا توقفت توقف التنفس والقلب. وتسمى هذه الحالة موت الدماغ أو المخ أو موتًا إكلينيكيًّا. وهناك شبه إجماع بين الأطباء على اعتبار موت المخ الكلي هو موت للكائن الإنساني.



شكل (٢): شكل توضيحي لموت الأجزاء المختلفة للمخ وما ينتج عنه

ثالثا: مفهوم الموت في الحضارات الإنسانية [1]

رغم أن الناس يعرفون الموت والحياة بالتجربة والمشاهدة إلا أن تعريف الموت- مثل تعريف الحياة- يكتنفه كثير من الصعوبات في أحيان كثيرة. فحياة الكائن الحي تعرف بالقدرة على التنفس والغذاء والنمو والتكاثر، وربما الحركة. ولكن هل الفيروسات تعتبر كائنات حية؟ والمعروف أن الفيروسات خارج الخلايا التي تستعمرها لا تنمو ولا تتكاثر ولا تتغذّى ولا تتنفّس بل تتبلور مثلما يتبلور الجماد في بعض أشكاله وأنواعه. وفي جسم الكائن الحي متعدد الخلايا كالإنسان والحيوان والنبات تموت ملايين الخلايا كل يوم بل كل لحظة. ويخلق الله بدلا منها ملايين أخرى دون أن يموت الكائن الحي بأكمله. وفي أثناء عمليات القلب المفتوح يوقف القلب لمدة ساعتين أو أكثر، ولا يعني ذلك أن هذا الشخص قد مات؛ لأن وظيفة القلب تقوم بها مضخة تضخ الدم في جهاز يقوم بوظيفة الرئة، ثم يعاد إلى الجسم. وبالرغم من توقف القلب والتنفس فإن هذا الشخص حي بكل تأكيد. ولكن العكس غير صحيح إذا تهشم الدماغ (خاصة جذع المخ الذي به المراكز الحيوية) ومات موتًا لا رجعة فيه فإن هذا الإنسان يعتبر ميتًا طبيًّا رغم أن قلبه لا يزال ينبض بمساعدة العقاقير وبعض الأجهزة. وتنفسه لا يزال مستمرًّا بواسطة أجهزة التنفس الصناعي- وهو ما نعبر عنه بموت الدماغ. وهذا يشبه تمامًا ما يحدث حينما يضرب السياف العنق فتتوقف الدورة الدموية عن الدماغ ويموت الدماغ خلال دقائق معدودة أقل من أصابع

(١) انظر: الشبكة الدولية للمعلومات: الموت في الديانات المختلفة
http:// ar.wikipedia.org/wiki/%D9% 85% D9% 88% D8% AA

اليدين. بينما يبقى القلب يضخ لمدة خمس عشرة إلى عشرين دقيقة ويتحرك المذبوح. وهو أمر نشاهده عند ذبح الدجاج أو الخروف. ولكن هذه الحركة بذاتها ليست دليلًا على الحياة طالما أن المخ قد مات. والأمر ذاته يحدث في الشنق. فعندما يُشنق الإنسان تتوقف الدورة الدموية عن الدماغ. بينما يستمر القلب في الضخ لفترة قد تصل إلى عشرين دقيقة. وفي هذه الفترة لاشك أن الشخص يكون قد مات رغم أن قلبه لا يزال ينبض. وذلك لأن الدورة الدموية قد انقطعت عن الدماغ وقد مات الدماغ بالفعل.

وبعيدًا عن الصعوبات التي قد تجابهنا لتعريف الموت. والغموض الذي قد يكتنف هذا التعريف فقد اتفقت جميع الحضارات الإنسانية بما فيها الفرعونية المصرية القديمة والبابلية والآشورية والصينية والهندية واليونانية. والديانات السماوية الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام في أن الموت هو مفارقة الروح للجسد. وحتى قبل تطور الحضارات الإنسانية فإن الإنسان البدائي كان مقتنعًا بأن كل كائن حي له حياة أخرى دفينة في جوفه يمكن انفصالها عن الجسد إبان النوم أو الموت عندما رأى في منامه أشخاصًا قد ماتوا سابقًا. وكان يخشى أن تعود روح الميت وتصب لعنته عليه. فكان يدفن مع الميت سائر الحاجات وألوان الطعام أو يترك للميت الدار التي جاءه فيها الموت. وينتقل هو إلى دار أخرى. وبعضهم كان يخرج الجثة من خلال ثقب في الحائط. ثم يدور بها حول الدار ثلاث دورات سريعة لكي تنسى الروح أين المدخل إلى تلك الدار فلا تعاودها أبدًا.

وجاء في بعض كتب الهند القديمة: "لا يوقظن نائم إيقاظًا مفاجئًا؛ لأنه من أصعب الأمور أن تضل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها". وذلك يدل على أنهم اعتقدوا في مغادرة الروح للجسد عند النوم كما تغادره عند الموت.

وإذا كانت الحضارات الإنسانية والديانات المختلفة قد اتفقت على مغادرة الروح للجسد عند الموت، فقد اختلفت بعد ذلك اختلافات شتى في كيفية خروج الروح وخلوصها من هذا الجسد. وهل تعود إلى هذا الجسد أم تعود إلى جسد آخر؟

فالملحدون بشكل عام يعتقدون أن الموت يؤدي إلى فناء الجسد والـروح. ويؤمن فلاسفتهم "بفلسفة التلاشي" التي تعتبر النفس مؤلفة من ذرات شأنها شأن الجسد. وعند الموت وبعد تحرر النفس من الجسد فإن كليهما يفسد. وتنحل وتتبعثر الذرات المكونة لكليهما ضمن الدورة الشاملة الكبرى للطبيعة؛ أي أن النفس تتبدد عند الموت.

ويعتقد البوذيون والهنادكة والشنتو على سبيل المثال أن الروح تظل حبيسة في الجسد، وبالذات في الجمجمة عند الموت وأنها لا تنطلق إلا بعد حرق الجثة لتنفجر الجمجمة. ولكي يساعد اللهب المتصاعد الروح التي تتحرر على الصعود لأعلى. ولذلك نراهم يحرقون جثث موتاهم. ثم إن الهنادكة والبوذيين يعتقدون بتناسخ الأرواح. وأن الروح الشريرة تُعاد في جسد حقير مثل الكلب والخنزير. وتظل في تلك الدورات حتى تتطهر. بينما تتنقل الروح الصالحة في الأجساد الخيرة حتى تصل إلى السعادة الأبدية

المطلقة في الروح المتصلة بالأبد والأزل كما يعتقدون، وهي ما يطلقون عليها مرحلة "النيرفانا"[1،2].

ووفقًا لمفهوم الديانات السماوية فإن الموت هو خروج الروح من جسم الإنسان والانتقال إلى مرحلة الحياة الآخرة التي تكون فيها الحياة مخلدة إلى ما لا نهاية، وحسب إيمان البشر وأفعالهم في الحياة الدنيا ينالون العقاب في النار أو الثواب في الجنة، وفي المفهوم اليهودي والمسيحي فإن الله هو الذي يقبض الروح، أما في الإسلام فإن ملك الموت هو الموكل بقبض الأرواح ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١)، ويساعده كوكبة من الملائكة يقومون بنزع النفوس نزعًا من الظالمين ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ (الأنعام:٩٣)، أما الطيبون فتتولاهم ملائكة الرحمة وتبشرهم برضوان من الله ومغفرة وسلام منه ورحمة ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢)، ويأتي الإسناد في بعض الآيات مباشرة لله سبحانه وتعالى حيث الفاعل على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر:٤٢).

[1] انظر: أديان الهند الكبرى – مقارنة الأديان – د. أحمد شلبي – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الحادية عشرة – ٢٠٠٠ م.
[2] انظر: قصة الديانات – سليمان مظهر – مكتبة مدبولي – الطبعة الثانية – ٢٠٠٢م.

وعند سؤال أشخاص أفاقوا بعد غيبوبة عميقة أو نبض قلبهم بعد توقفه عن خبرتهم. فإن كثيرًا منهم اتفقوا على إجابات متقاربة تدل على أنه يوجد في جسم الإنسان جزء لا مادي يمر بمراحل متتالية عند مغادرته للجسد. فقد كانت إجاباتهم تتلخص في:

١. أحس بشعور الموت وخروج من الجسد.

٢. أحلق فوق الجسد وأراقب المنطقة المحيطة.

٣. أشعر بأنني مغمور بالحب والسلام.

٤. ثم أحس بأنني أدخل نفقًا كله نور، وألتقي مع أقاربي المتوفين أو مخلوقات روحية ونورانية.

٥. ثم عودة للجسد يصاحبها ممانعة ومقاومة.

وقد أوكلت الأمم والحضارات المختلفة تشخيص الموت إلى فئة مختصة تعرف علاماته وهي فئة الأطباء. قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). وقد اتفقت عدة مؤتمرات فقهية إسلامية والعديد من كبار علماء الدين الإسلامي على هذا الأمر حين أخذوا برأي الأطباء الاختصاصيين في اعتبار الإنسان ميتًا إذا توقفت وظائف دماغه (أو مخه) بأجمعها توقفًا نهائيًا وهو ما يطلق عليه الموت الإكلينيكي[1].

ولكن إذا كان معنى الموت عند الفقهاء هو مفارقة الروح للجسد. فهل نستطيع بدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة استخراج إشارات أو استدلالات لمفارقة الروح للجسد. وعلاقتها الزمنية بالعلامات المادية التي يعتبرها الأطباء الاختصاصيون علامات لموت الجسد أو موت الدماغ أو الموت الإكلينيكي؟ أو بمعنى آخر: هل نستطيع

---

[1] انظر: الشبكة الدولية للمعلومات: قتل الرحمة (euthanasia) - موت الدماغ من منظور إسلامي - شيخ الأزهر للأطباء: إياكم وقتل الرحمة.
www·islamic medicine ·org/views:htm

أن نصل إلى إجابة عن السؤال الهام في هذا الموضوع وهو هل الإنسان الميت دماغيًّا أو إكلينيكيًّا ما زالت به الروح أم غادرته؟ وبذلك نستطيع أن نجمع في هذه الحالة بين المفهوم الطبي للموت (وهو توقف الجسد عن الحياة نهائيًّا) والمفهوم الديني للموت (وهو مغادرة الروح للجسد مغادرة نهائية). ولذلك فمحور هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن هذا السؤال: هل هناك تعارض بين الطب الحديث والدين في مقولة: إن موت المخ يعول عليه في تشخيص الوفاة؟

القسم الثاني

سنمر خلال هذا القسم من الكتاب عبر سبع مسائل سنجيب عليها واحدة بعد الأخرى حتى نصل إلى الهدف من هذه الدراسة:

المسألة الأولى: ما هي مراحل خلق الإنسان؟

المسألة الثانية: ما هي مراحل الموت؟

المسألة الثالثة: عند الموت هل مغادرة الروح للجسد ومغادرة سر الحياة يحدثان معًا أم يسبق أحدهما الآخر؟

المسألة الرابعة: عند الوفاة هل تغادر الروح القلب أولا أم المخ؟

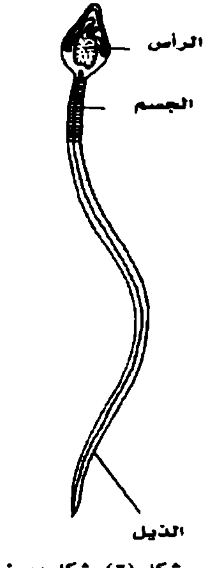
المسألة الخامسة: هل الوزر الشرعي الرئيسي يقع على إزهاق الروح أم يقع على إزهاق سر الحياة؟

المسألة السادسة: ما هو الفرق بين الوفاة والموت؟

المسألة السابعة: هل نستطيع من منظور ديني تشخيص الموت ورفع أجهزة التنفس الصناعي إذا استطاع الطب أن يجزم بموت المخ. بينما القلب ما زال ينبض معتمدًا على أجهزة صناعية؟

المسألة الأولى

ما هي مراحل خلق الإنسان؟



شكل (٣): شكل يبين الحيوان المنوي

إن سر الحياة في الإنسان يبدأ من النطفة الحية. نطفة الرجل (الحيوان المنوي) ونطفة المرأة (البويضة). وإذا نظرنا إلى الحيوان المنوي بواسطة المجهر فإننا نراه كائنًا حيًّا يتكون من رأس وجسم وذيل. ويتحرك بنشاط للبحث عن بويضة يخترقها ليكوّن النطفة الأمشاج (البويضة الملقحة). ومع كل هذا فالحيوان المنوي ليس به روح؛ لأن الروح تنفخ في الجنين في وقت متأخر داخل الرحم عند زيارة الملَك. وسر الحياة هذا ينتقل عبر نطفتي الرجل والمرأة من جيل إلى جيل حتى نصل إلى الخلق الأول آدم وحواء اللذين أودع الله سبحانه وتعالى في صلبهما سر الحياة.

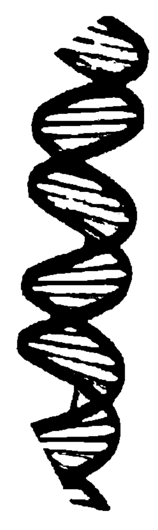
ولقد وُجِد أن مادة الحياة سواء في الإنسان أو في سائر المخلوقات الحية على وجه الأرض تشترك في أنها تتألف من نفس العناصر التي نراها حولنا في الصخور والتراب والطين - نفس الذرات: الكربون. الأيدروجين. الأكسجين. النيتروجين. الكالسيوم. الصوديوم. ....(حتى ستة عشر عنصرًا)[1]. وبإعادة ترتيب هذه العناصر بنسب وعلاقات مختلفة تم تكوين الأحماض الأمينية التي تعرف بأنها الطوب الذي صنع منه المعمار الحي.

---

[1] انظر: لغز الحياة: دكتور مصطفى محمود - دار أخبار اليوم.

فمن تشابك هذه الأحماض الأمينية نشأ نوع يعرف بالحامض النووي أو حامض ديزوكسي ريبونيوكليك (DNA) الذي يعتبر بذرة الحياة الأولى. وهذا الحامض موجود داخل نواة الخلية في أي كائن حي. ويظهر لنا باستخدام المجهر الإلكتروني على شكل خيط رفيع حلزوني مزدوج من سلاسل كيميائية يختلف تركيبها من كائن لآخر حسب شفرته الوراثية. وهذه المادة الحمضية هي الجزء الآمر والمنفذ لكل مظاهر الحياة داخل الخلية. كما أنها المسئولة عن انتقال نفس مظاهر الحياة في كل كائن حي من جيل إلى جيل. وهنا نتساءل: من أعطى الأمر لهذه المادة الكيميائية لتعمل وتتكاثر وتحافظ على نوعها؟ أو بمعنى آخر: من الذي أعطاها سر الحياة؟ نعلم أنها تنتقل حية من جيل إلى جيل. ولكن من الذي أعطى الحياة لأول فرد في هذا الكائن الحي؟ أي: مَنْ الذي خلق الحياة في هذه المادة الكيميائية الميتة؟ وعند حضور أجل الموت مَنْ الذي ينزع منها سر الحياة بالرغم من أن الجسم الميت يحتوي على نفس المواد الكيميائية الموجودة في الجسم الحي؟ ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (آل عمران: ٢٧).

إن هذا التوحد في مادة النسيج الحي لأعظم دليل على وحدانية الخالق. وسر الحياة هذا قد صدر به أمر من الله سبحانه وتعالى مع بداية الخلق ووضعه في هذا الحامض العجيب «أمين سر حياة الخلية» وهو الذي جعل هذه المادة ذات شكل ونظام. فإذا توقف سر الحياة تموت الخلية. وتعود هذه المادة فتنهدم وينفرط عقدها وتتحلل من هياكلها المصورة الجميلة إلى عناصرها الأولية التي خلقت منها.



شكل (٤): يوضح حامض ديزوكسى ريبونيوكليك (DNA) تحت المجهر الإلكتروني

جدول للمقارنة بين نسب العناصر المختلفة المكونة لجسم الإنسان والتربة[1]

جسم الإنسان		التربة الزراعية	
الأكسجين	٦٣,٠٢٪	الأكسجين	٣٦,٦٨٪
الكربون	٢٠,٢٠٪	السليكون	٢٧,٦٠٪
الهيدروجين	٩,٩٠٪	الألومنيوم	٨,٠٥٪
النيتروجين	٢,٥٠٪	الحديد	٥,٠٣٪
الكالسيوم	٢,٤٥٪	الكالسيوم	٣,٦٣٪
الفوسفور	٠,٠١٪	الصوديوم	٢,٧٢٪
الكلور	٠,١٦٪	البوتاسيوم	٢,٥٦٪
الفلور	٠,١٤٪	المغنسيوم	٢,٠٧٪
الكبريت	٠,١٤٪	الفوسفور	٠,١٥٪
البوتاسيوم	٠,١١٪	الكربون	٠,١٥٪
الصوديوم	٠,١٠٪	الهيدروجين	٠,١١٪
المغنسيوم	٠,٧٠٪	المنجنيز	٠,٠١٪
الحديد	٠,٠١٪	الكبريت	٠,٠٩٪
اليود	آثار	الكلور	٠,٠٩٪
السليكون	آثار	النيتروجين	آثار
المنجنيز	آثار	اليود	آثار

[1] انظر: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان: د. محمد فياض - دار الشروق - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ويمكننا القول إن وجود "سر الحياة" في أي كائن حي مفاده "استمرار النوع". فأصغر المخلوقات الحية ذات الخلية الواحدة مثل الأميبا والتي لا يوجد عندها مخ ولا جهاز عصبي تتصرف بفطرة عاقلة وتدرك مكان الخطر لتبتعد عنه، وتدرك مواطن المنفعة لتقترب منها. وانظر إلى ما يحدث عندما يجرح إنسان فتلتئم جروحه من تلقاء نفسها، وقارنها بالأشجار عندما تجرح فتلتئم بنسيج من الفلين يملأ بين شفرات جروحها. وغيرها أمثلة كثيرة في سائر الكائنات الحية من حشرات وطيور وحيوانات[1].

وإذا نظرنا إلى الخلية الحية في أي كائن حي- من منظور علمي- فإننا نجدها تحافظ على حياتها أو وجودها بواسطة "عمليات كيميائية" أو نشاط بيولوجي (حيوي) يتم تحت سيطرة حامض الديزوكسي ريبونيوكليك (DNA)، وهذه العمليات الكيميائية تتلخص في:

أ- أخذ مواد كيميائية (غذاء وأكسجين) من البيئة المحيطة بها.

ب- تقوم بحل هذه المواد الكيميائية (الغذاء) وإعادة تركيبها على صورة جديدة هي صورة الخلية (أي نموها أو إصلاح وتجديد ما يتلف منها أو تكرار نفسها و تكاثرها)، أو على صورة أوامر أو رسائل كيميائية تتمثل في إحداث رد الفعل المناسب لمصلحة الكائن الحي كأن تبتعد الأميبا مثلًا عن مؤثر ضار، أو ترسل المواد الكيميائية كأوامر لازمة لعمل خلايا أو أنسجة أخرى في جسد الكائن متعدد الخلايا كأن تنقبض العضلات أو تفرز الغدد إفرازاتها المناسبة-وهي في سبيل ذلك تستهلك طاقة تستمدها من الأكسجين.

وبذلك نستطيع أن نستنتج أن "توقف سر الحياة" في الخلية أو موتها هو توقف قدرتها على الحفاظ على نوعها، وهذا يمكن حدوثه بوسيلتين:

---

(1) انظر: لغز الحياة: دكتور مصطفى محمود - دار أخبار اليوم.

أ- عدم وصول الغذاء والأكسجين للخلية أو فقد الخلية القدرة على استقبال الغذاء والأكسجين اللازمين لعملها. أو:

ب- توقف العمليات الكيميائية داخل الخلية واللازمة لاستمرار وجودها.

وهذا يؤدي إلى انفراط عقد المواد الكيميائية المكونة للخلية وتحللها إلى عناصرها الأولية.

وفي الكائن الحي متعدد الخلايا يوجد التخصص في الوظائف بين أعضاء الجسد المختلفة. ولكن هذا لا يكفي للحفاظ على حياة هذا الكائن. بل يلزم التكامل والتواصل بين الأعضاء المختلفة للحفاظ على "سر الحياة". ولنضرب هذا المثال البسيط في النبات. فالجذر يمتص الماء كغذاء للنبات. والساق يوصل الغذاء للجزء المثمر من النبات. فإذا مات الجذر (أو توقف سر ا لحياة فيه) توقف إمداد النبات بالغذاء. وإذا كسر الساق توقف توصيل الغذاء للأوراق مما يؤدي أيضًا لموتها؛ أي أن الجزء المثمر من النبات يحيا بحياة الجذر والساق. وفي الإنسان نجد أن الخلايا المفردة تتواصل فيما بينها لمصلحة النسيج الذي تكونه. والأنسجة المفردة تتكامل وتتواصل فيما بينها لمصلحة العضو الذي تكونه. والأعضاء المفردة تتكامل وتتواصل فيما بينها للحفاظ على سر حياة جسد الإنسان. ولذلك "فسر حياة الإنسان" هو التكامل بين أعضاء الجسم الضرورية والتواصل فيما بينها لإحداث هذا التكامل. ولذلك فإن "توقف سر الحياة في الإنسان" أو موته يحدث بسبب:

- توقف القلب (الدورة الدموية) أو التنفس: مما يمنع وصول الغذاء والأكسجين اللازمين لحياة جميع خلايا الجسم. أو

- توقف التواصل بين الأجهزة الحيوية اللازمة لحياة الإنسان. وكما أوضحنا فإن الجهاز العصبي هو المسئول عن التواصل بين هذه الأجهزة الحيوية. ففي كل لحظة يحمل

الجهاز العصبي ملايين الرسائل من هذه الأجهزة إلى المخ الذي يستجيب لها في الحال، ويرد عليها برسائل تتجه عبر هذا الجهاز العصبي إلى الدورة الدموية والقلب والتنفس لينظم عملها؛ أي أن توقف الجهاز العصبي هو توقف للدائرة "الكهربية" الموصلة بين الأعضاء الحيوية فهو توقف لسر حياة الإنسان.

وكما أسلفنا فإن "سر الحياة" في الخلية الحية في الإنسان يشترك مع جميع الكائنات الحية الأخرى في كون أصلها من التراب، وفي مظاهر حياة الخلية من المنظور الكيميائي، ولكن يتميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية الأخرى بنفخ الروح فيه بعد تمام تسويته، وهذه التسوية هي تمام خلق وتشكيل الإنسان وإعطاؤه الإمكانات الجسدية التي تؤهله لنفخ الروح فيه، وأهمها: المخ المتطور الذي يستطيع أن يظهر أهم أثر من آثار نفخ الروح في الإنسان، وهو العقل المفكر الذي يختار بين البدائل، ويعمر الأرض ويتعرف على الله سبحانه وتعالى، فآدم عليه السلام خُلِق من طين وبعد تسويته نُفِخت فيه الروح، ثم كانت سلالة آدم عليه السلام من اتحاد النطفة الحية من الرجل والمرأة لتكوين جسد الجنين، وبعد تمام تسوية الجنين؛ أي تشكيله وخلق أعضاء جسده يبعث الله سبحانه وتعالى مَلَكًا لينفخ الروح في الجنين داخل رحم الأم[1].

والنطفة الأمشاج (البويضة الملقحة) التي تتكون باتحاد نطفة الرجل مع نطفة المرأة تتكون من خلية واحدة، ثم تنقسم إلى خليتين فأربع فثمان فست عشرة خلية، وهكذا حتى تبدأ الخلايا في التميز إلى أنسجة وأعضاء الجسم المختلفة، وهي مرحلة التسوية التي تؤهل الجنين لقابلية نفخ الروح فيه، ونحن نعلم بواسطة العلم الحديث كثيرًا من

(1) انظر: الإنسان وعالم الملائكة: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ٢٠٠٧م.

مراحل تكوين الجنين الأولى داخل رحم الأم، ونستطيع أن نشاهده داخل الرحم، بل ونصوره كفيلم تليفزيوني بواسطة الموجات فوق الصوتية، ونرى أن قلبه ينبض عند تسعة وعشرين يومًا من ابتداء الحمل، ويتميز الهيكل الغضروفي للعظام في الأسبوع السابع، ويبدأ ظهور مراكز التعظم (التي يبدأ منها تحول الهيكل الغضروفي إلى هيكل عظمي) في نفس الأسبوع السابع[1]، كما نراه يتحرك ويسبح داخل كيس الحمل عند نهاية الأسبوع الثامن، وبالرغم من علمنا بأن سر حياة الجنين يبدأ باتحاد نطفتي الرجل والمرأة، بل وقبل ذلك بوجود سر حياة في هاتين النطفتين، فإن الحديث النبوي الشريف يخبرنا بأن زيارة المَلَك الأولى للجنين داخل الرحم تكون عند أربعين إلى خمسة وأربعين يومًا، كما أخرج الإمام مسلم في عدة روايات، فعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"يدخل المَلَك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول: يارب أشقيّ أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي رب، أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تُطوى الصفحة فلا يزاد فيها ولا ينقص"[2]، وفي رواية أخرى: "إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملَكا فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب المَلَك، ثم يقول: يا رب، أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب المَلَك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي

[1] انظر: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان: د. محمد فياض - دار الشروق - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
[2] الحديث: أخرجه مسلم (٢٦٤٤) كتاب القدر/باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وعمله وشقاوته وسعادته.

ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص"[1]. وفي رواية ثالثة: "إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك، فيقول: يا رب، أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى، ثم يقول: يا رب أسويّ أو غير سويّ؟ فيجعله الله سويًّا أو غير سويّ، ثم يقول: يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيًّا أو سعيدًا"([2]). وتفيد هذه الأحاديث الشريفة أن زيارة الملَك الأولى للجنين تكون بعد أن تكون أعضاء جسد الجنين قد تحددت وبعد أن ظهر لنا خفقان قلب الجنين؛ أي: بعد تَكَوُّن الدورة الدموية في الجنين والتي يعرف علم الأجنة يقينًا أنها منفصلة تمامًا عن الدورة الدموية للأم.

كما يخبرنا الحديث الشريف أيضًا أن زيارة الملَك للجنين لنفخ الروح فيه تكون عند مائة وعشرين يومًا من بداية وجود النطفة داخل الرحم؛ أي: بعد تمام خلق أعضاء الجسد وتسويتها، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملَكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب له عمله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح......... باقي الحديث"[3] ويشير القرآن الكريم تلميحًا وليس تصريحًا إلى هذه الحقيقة في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤)﴾ (المؤمنون: ١٣-١٤). وتشير جملة: «ثم أنشأناه

[1] الحديث: أخرجه مسلم (٢٦٤٥) كتاب القدر/باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وعمله وشقاوته وسعادته.
[2] الحديث: أخرجه مسلم (٢٦٤٥) كتاب القدر/باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وعمله وشقاوته وسعادته.
[3] الحديث: أخرجه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق/ باب: ذكر الملائكة (أطرافه في: ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر/ باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

خلقًا آخر» إلى أنه صار إنسانًا وبشرًا غير الذي سبق نفخ الروح. وكان قد اكتمل عظامًا ولحمًا؛ أي: اكتمل خلقًا ماديًّا؛ أي: أن نفخ الروح هو مغاير لخلق جسد الإنسان.



شكل (٥): صورة توضح الحيوان المنوي أثناء اختراق جدار البويضة



شكل (٦): صورة لجنين في الأسبوع التاسع من الحمل تظهر بداية تكون الهيكل العظمي



شكل (٧): شكل يوضح المراحل المتتالية لنمو الجنين حتى الأسبوع الخامس عشر

(أي قبل أن يكمل مائة وعشرين يومًا من بداية الحمل)

إن الروح التي نسبها الله سبحانه وتعالى إليه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩، ص: ٧٢) تنفخ في جنين الإنسان فقط. وهي غيب يعجز العقل أن يتعرف على كنهه. ولكننا نعرف أن نفخ الروح في الإنسان منحة «سر بشريته أو إنسانيته»؛ أي تكريمه وتميزه على سائر المخلوقات. فهي الروح المكرمة من الله سبحانه وتعالى بإضافتها إلى ذاته سبحانه، وبالأمر بسجود الملائكة للإنسان بعد نفخ الروح فيه. وهي التي أكسبت الإنسان «حمل الأمانة» التي هي التكاليف الشرعية، أو العقل المبدع المفكر الذي يستطيع أن يتعرف على الله سبحانه وتعالى، ويستطيع أن يعمر الأرض باختراع الأدوات والقدرة على استعمالها، وبالتواصل مع غيره ونقل المعرفة إلى الأجيال التالية.

وقد ذكر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي[1] هذا المعنى حينما قال: إن الذين يقولون إن الحياة هي الروح مخطئون. فلابد من الفصل بين الحياة والروح. فالنبات به حياة يسميها الشيخ الجليل «نامية نباتية». ومعنى نمو النبات أنه يتحرك من الأدنى إلى الأعلى. إذن ففيه نمو وفيه حركة وفيه أشياء نعرف منها أن النبات حي. وهل الورد الصناعي يبلى؟ لا. لأنه لا حياة فيه. ومن عظمة الورد الطبيعي أنه يذبل. وهذا تأكيد للحياة فيه.

والحيوان به حياة (نامية حيوانية). لكن وظائف هذه الناميات الحيوانية غريزية لا تستخدم المخ في توجيهها. فالإنسان بعقله يختار بين البدائل. أما هذه الناميات فلا. فمثلا إذا ضربت القطة فلا إجابة لك عندها ولا رد إلا رد واحد. وهو الخربشة. أما الإنسان فإن له تعددًا في اختيار البدائل نتيجة العقل والفكر.

ويضيف الشيخ الجليل: إن سر الإنسانية (العقل الذي يختار بين البدائل) هو زيارة الملَك له أثناء حياته الجنينية. فزيارة الملَك للجنين ونفخ الروح فيه هو سر الإنسانية أو البشرية. وهي حمل الأمانة والتكاليف الشرعية بالاختيار بعقله بين البدائل المختلفة.

ومما يؤكد الطبيعة المختلفة للروح عن سر حياة الجسد هو مغادرة الروح للجسد أثناء النوم. وبالرغم من ذلك فالنائم ليس ميِّتًا موتًا حقيقيًّا. فكل أعضاء جسده في حياة تامة وهو يتنفس وقلبه ينبض. ولقد بين لنا القرآن الكريم والحديث الشريف باللفظ الصريح أن النوم هو شبيه الموت. وأن اليقظة من النوم هي شبيه البعث

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

---

[1] انظر: الفتاوى لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: أعده وعلق عليه وقدم له الدكتور السيد الجميلي - المكتبة التوفيقية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك أموت وأحيا». وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[1]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «النوم أخو الموت. ولا ينام أهل الجنة»[2] وذلك لكي نتعظ ونوقن بالبعث. ولكي نطبق كثيرًا مما يحدث أثناء النوم على الموت. وقد فهم جل علماء المسلمين من قديم هذا المعنى. واتفقوا على تعريف حالة النوم بأنها حالة «الموت الأصغر». أو أن النوم هو « شقيق الموت».

ودليل مفارقة الروح للجسد أثناء النوم نجده في الآتي:

١. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢). وقد اتفق جمهور العلماء على أن الأنفس المذكورة في الآية تعني أرواح الناس.

٢. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (الأنعام: ٦٠). وسوف نثبت قبل نهاية هذا البحث أن التوفي معناه قبض الروح.

٣. في قصة نوم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم راجعون من غزوة خيبر عند صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت. فعندما قام قال لأصحابه: "إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء"[3].

[1] الحديث: أخرجه البخاري (٦٣١٢) كتاب الدعوات/ باب: ما يقول إذا نام (أطرافه في ٦٣١٤، ٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.
[2] الحديث: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٤/٣): الحديث صحيح من بعض طرقه عن جابر.
[3] الحديث: سبق تخريجه.

٤. دعاء النوم: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"[1]. وهذا هو ذات المعنى الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الزمر من قبض الأنفس أثناء النوم والموت، ثم إرسالها لمن لم يَحِن أجل موته.

وإذا تأملنا في عمليات نقل الأعضاء من شخص ميت إلى آخر فإننا - في حدود علمنا - نستنتج أن الخلايا والأنسجة المنفردة ليس بها روح، ولكن بها سر حياة فقط ينتقل معها إلى الشخص المستقبل[2]. فبعد تحقق حدوث الموت وقبض الروح بعلاماته طبيًّا ودينيًّا (والتي سنذكرها لاحقًا)، وهو ما أشار إليه القانون المدني المصري في المادة ٢٩[3]. وحتى بعد دفن الميت فقد اكتشف حديثًا أن ملايين الخلايا في جسد الإنسان الميت تظل محتفظة بقدرتها على العمل وعلى الحياة لساعات عديدة، ولكن بالرغم من توقف سر حياة الإنسان ككائن حي متكامل فإن سر الحياة على مستوى الخلايا والأنسجة المنفردة يستمر لعدة ساعات، وبما أن هذه الخلايا والأنسجة المنفردة لا تستطيع أن تقوم بذاتها منفصلة فإنها بعد استهلاك المتبقي داخلها من الغذاء والوقود يتوقف سر الحياة فيها كخلايا منفردة.

ونستطيع أن نفهم هذا المعنى الذي نقصده من مثال زراعة "قرنية العين"، فبعد تشخيص الموت والتأكد منه بساعات عديدة تصل إلى اثنتي عشرة ساعة نستطيع أن نأخذ قرنية من جثة الميت، ثم نقوم بنقلها إلى جسد إنسان آخر يحتاجها، وأكثر من

---

[1] الحديث: أخرجه البخاري (٦٣٢٠) كتاب الدعوات/ باب: التعوذ والقراءة عند المنام (طرفه في: ٧٣٩٣)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

[2] انظر: الروح والعلم القليل - مع موجز ونقد لكتاب الروح لابن القيم: د. السباعي حماد - ٢٠٠٧م.

[3] انظر: مجمع البحوث الإسلامية - قراراته وتوصياته في ماضيه وحاضره: الجزء الأول - إعداد عبد الرحمن العسيلي ، وماهر السيد حداد - السنة التاسعة والثلاثون - الكتاب الثاني ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م

ذلك يمكن حفظ هذه القرنية كنسيج مستقل لمدة تصل إلى أسبوع أو أكثر في درجة حرارة منخفضة (أربع درجات مئوية)، بل ونستطيع حفظها محتفظة بحيويتها في مزارع نسيجية لمدة طويلة تصل إلى ثلاثين يومًا[1]. ومن المعروف طبيًّا أن القرنية ليست مجرد غشاء شفاف ينفذ الضوء خلاله، ولكنها تتكون من آلاف الخلايا التي تستهلك طاقة للقيام بعمليات حيوية (حياتية) ضرورية لإبقائها على درجة معينة من الرطوبة للمحافظة على شفافيتها[2]. وليست القرنية فحسب ولكن هناك حالات ناجحة لزراعة الأطراف المبتورة إذا أخذت من جثة ميت في خلال ست ساعات بعد موته، وزراعة خلايا البنكرياس لعلاج مرض السكري المستعصي، وزراعة الفك واللسان والحنجرة والأنف والشفتين والذقن، وغيرها كثير[3،4،5] وهذه الخلايا أو الأنسجة التي تم أخذها من أجساد ميتة أو جثث موتى (Cadavers) تستطيع أن تستمر في الحياة في الشخص الجديد لسنين طويلة، وهذا الدليل يثبت أنه برغم مغادرة الروح للجسد وحدوث موت الإنسان (أي توقف سر الحياة فيه ككائن حي متكامل- وهو ما يطلق عليه الطب "الموت الجسدي") فإن مغادرة الروح للجسد لم تأخذ معها سر الحياة من الخلايا والأنسجة المنفردة، والتي تستطيع أن تكمل حياتها لساعات في جسد الميت، أو لسنين طويلة تحت إمرة وفي خدمة جسد وروح جديدين.

---

(1) انظر الشبكة الدولية للمعلومات:

http://www.menzies foundation.org.au/: Summit meeting to investigate the establishment of a national human tissue processing c entre in Australia 11th Nov 1999.

(2) Histology for Medical Students: By Prof. Zakaria Abdel-Hamid. New edition by Dar Al-Shaab for Press, Printing and Publishing.

(3) انظر الشبكة الدولية للمعلومات:

http:// Content.nejm.org/cgi/content/full/350/7/694: The use of non-heart beating donors for isolated pancreatic islet transplantation.

(4) انظر الشبكة الدولية للمعلومات:

http:// content.nejm.org/cgi/content/abstract/343/7/468: Successful hand transplantation. one year follow-up.

(5) انظر الشبكة الدولية للمعلومات:

http://www.chrcrm.org/main/modules/pageworks/index.php?id=216&page =011: First sciatic nerve transplantation.

وأود أن أشير أيضًا إلى حقيقة طبية وهي أن موت خلايا الجسد وأنسجته وأعضائه يمكن أن يحدث قبل مرحلة نفخ الروح في الجنين كما في هذه الأمثلة:

- هناك حالات كثيرة يعرفها الطب الحديث تسمى الإجهاض المتروك أو الإجهاض المنسي (Missed Abortion) يحدث فيها موت للجنين داخل الرحم قبل مرحلة نفخ الروح؛ أي قبل مائة وعشرين يومًا، وحتى قبل أربعين يومًا، وفي هذه الحالة تتوقف خلايا الجنين وأعضاء جسده عن العمل (وعن وظيفتها في الحياة)، وتتوقف حركته ونبضات قلبه، وإذا ترك لفترة طويلة يتسلخ جلده، ثم تتحلل خلايا جسده؛ أي تحدث نفس التغيرات التي نعرفها بعد الموت.

- بعض حالات الإجهاض قبل مائة وعشرين يومًا- أي: قبل مرحلة نفخ الروح- تحدث بسبب ضعف عضلات الرحم أو اضطراب الهرمونات المثبتة للحمل، وفي هذه الحالات نرى السقط به علامات الحياة؛ أي: يتنفس وقلبه ينبض، وقد يتحرك قبل أن يموت لعدم اكتمال وظيفة أعضاء الجسم الضرورية للحياة خارج الرحم، ثم تحدث في خلاياه وأعضاء جسده نفس التغيرات التي تحدث بعد الموت في أي إنسان.

- توصل الطب الحديث إلى أن سبب العقم في بعض الحالات هو موت الحيوانات المنوية الموجودة في السائل المنوي والتي ينتجها الرجل، وبالتالي لا تستطيع هذه الحيوانات المنوية إخصاب البويضة حتى إذا تم حقنها داخل البويضة أثناء عملية طفل الأنابيب.

أما بعد نفخ الروح فإنه عندما يحين أجل الموت فإن الله سبحانه وتعالى يرسل ملَك الموت لقبض الروح. وبمشيئته سبحانه وتعالى يتوقف سر الحياة (الذي وضعه سبحانه في الخلق الأول) في الخلايا والأعضاء الحية أو في الحيوان المنوي أو في الجنين أو في السقط قبل مرحلة نفخ الروح.

وفي نهاية هذه المسألة نوجز الإجابة عنها في أن حياة الإنسان تتكون من مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة خلق جسد الجنين وتسويته ووجود سر حياة في خلاياه. وسر الحياة هذا موجود في سائر الكائنات الحية وليس الإنسان وحده.

المرحلة الثانية: مرحلة نفخ الروح في الجنين بعد تسويته وما بعدها. وهذه المرحلة خاصة بالإنسان وحده دون سائر المخلوقات.

وكما شرحنا فإن سر حياة الخلية والروح هما شيئان ضروريان لحياة الكائن الإنساني. وكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به. فاكتمال تسوية جسد الجنين شرط لازم لنفخ الروح فيه. كما أن سر حياة الإنسان يرتبط بوجود الروح فيه فإن غادرته الروح توقف سر حياة الإنسان.

المسألة الثانية

ما هي مراحل الموت؟

يبين لنا القرآن الكريم أن "الموت هو المقابل أو النقيض للحياة". ويظهر هذا جليًّا في مقابلة الموت بالحياة في أكثر من ستين موضعًا بالقرآن الكريم (سواء بالمصدر الصريح، أو المصدر الميمي، أو اسم الفاعل، أو الزمن الماضي، أو الحاضر أو المستقبل) ومن أمثلة ذلك:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ **(الملك: ٢).**

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **(الأنعام: ١٦٢).**

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ **(الأنعام: ٩٥).**

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ **(النحل: ٢١).**

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(فصلت: ٣٩).**

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ **(النجم: ٤٤).**

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ **(الجاثية: ٢٤).**

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾**(القيامة: ٤٠).**

وكما ذكرنا سابقا فإن الحياة تتكون من مرحلتين هما:

١. مرحلة وجود سر الحياة في الجنين (قبل نفخ الروح). ثم ..

٢. مرحلة نفخ الروح في الجنين وما بعدها.

وبما أن الموت هو نقيض الحياة فإن الموت يتكون من مرحلتين هما:

١. مغادرة الروح للجسد - بالإضافة إلى

٢. توقف سر الحياة (الموجود أصلا في هذا الجسد قبل نفخ الروح).

ولكن ينبغي أن نلاحظ أنه قبل نفخ الروح في الجنين الحي فإن الحياة تتكون من مرحلة واحدة فقط هي "سر الحياة". وبالتالي فإن الموت في هذه الحالة (والذي هو نقيض الحياة) يتكون من مرحلة واحدة فقط وهي "توقف سر الحياة".

التعريف الطبي لمراحل الموت

بما أن الروح كما ذكرنا هي غيب ولا مادة، فبالتالي لا يستطيع العلم الذي يعتمد على العقل المادي والتجربة والمشاهدة أن يتعرف على الغيبيات. أي: لا يستطيع الطب أن يتعرف على الآثار العضوية لنفخ الروح في الجنين داخل الرحم ولا على الآثار العضوية لمغادرة الروح للجسد عند النوم أو عند الوفاة.[١،٢] ولكن يستطيع العلم أن يتعرف على الشيء المادي وهو عمل الخلية وحياتها وعلى توقف عملها وموتها. ولذلك فقد تم تعريف الموت طبيًّا بأنه فشل الجسد كجهاز تكاملي وعلامته التوقف النهائي للأجهزة الحيوية في الجسم وهي الدورة الدموية والتنفس والجهاز العصبي". ثم لاحظ الطب مرحلتين للموت:[٣]

---

[١] انظر: الروح والنفس والعقل والقرين: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م

[٢] انظر: أسرار النوم - رحلة في عالم الموت الأصغر: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م

[3] Forensic Pathology: The Pathophysiology of Death. Bernard Knight–2nd edition, Arnold – London, 1997.

المرحلة الأولى: "الموت الجسدي أو الموت الإكلينيكي" [Somatic Death]

وهو نفس التعريف السابق: أي توقف أعضاء الجسم الحيوية عن العمل. وهي الدورة الدموية والتنفس والمخ أو موت الإنسان ككل. فلا يعود هذا الإنسان إلى الحياة مرة أخرى. وعلامات هذه المرحلة:

١. توقف التنفس.
٢. توقف نبضات القلب.
٣. انفتاح العينين وعدم حركة حدقة العين.
٤. ارتخاء عضلات الوجه مما يسبب سقوط الفك السفلي وتوقف ردود الفعل المنعكسة في الوجه.
٥. تسطُّح أجزاء الجسد الملامسة للسرير أو للأرض.
٦. ثم يلي ذلك برودة الجسم حتى تصبح معادلة لدرجة حرارة الجو المحيط. وتغير لون الجسم عادة بلون أزرق ناشئ عن ركود الدم في الأوردة.

وهذه العلامات تشبه إلى حد كبير ما أخذ به مجمع البحوث الإسلامية في اعتماد تعريف موت الإنسان بعلاماته الأربع الظاهرة الباترة وهي: انقطاع نفسه. وإحداد بصره. وانفراج شفتيه فلا تنطبقان وسقوط قدميه فلا ينتصبان"[1].

المرحلة الثانية: "الموت الخلوي أو الموت الجزيني" [Molecular Death]

وهي تلي المرحلة الأولى بعدة ساعات. ويبدأ فيها تحلل الخلايا والأنسجة وأعضاء الجسم المنفردة كل على حدة. وقد وجد أن أعضاء الجسم وخلاياه المنفردة تستطيع أن تعمل وتحيا منفردة: أي:بدون تواصل بين بعضها البعض لفترات تختلف من عضو لآخر بقدر احتياجه

[1] انظر: مجمع البحوث الإسلامية - قراراته وتوصياته في ماضيه وحاضره: الجزء الأول - إعداد عبد الرحمن العسيلي . وماهر السيد حداد - السنة التاسعة والثلاثون - الكتاب الثاني ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

للاكسجين: أي: بعد استهلاك المتبقي داخلها من الغذاء والأكسجين. فمثلا:

- خلايا المخ تستمر في الحياة حتى ثلاث إلى سبع دقائق.
- خلايا القلب تستمر في الحياة حتى خمس عشرة إلى عشرين دقيقة.
- خلايا الكليتين تستمر في الحياة حتى ثلاثين دقيقة.
- خلايا الأطراف (اليدين والقدمين) تستمر في الحياة حتى ست ساعات.
- خلايا العظام والأوتار والجلد تستمر في الحياة حتى ثماني إلى اثنتي عشرة ساعة.
- خلايا القرنية تستمر في الحياة حتى عشر إلى اثنتي عشرة ساعة.

ويلاحظ أن برودة الجو تطيل فترة حياة الأنسجة. كما أن المزارع النسيجية تطيلها لفترات أطول. وفي خلال هذه الفترة إذا أخذنا أي نسيج أو عضو من هذه الأعضاء قبل موته الخلوي أو الجزيئي. ثم نقلناه إلى جسد إنسان آخر فإنه يستطيع أن يحيا في هذا الجسد الجديد لسنين عديدة: أي: لكل نسيج أو عضو فترة صلاحية يمكن استخدامه فيها قبل أن تمر وإلا تعفّنت خلاياه وبدأت في التحلل إلى عناصرها الأولية. ويجدر الإشارة إلى أنه في خلال هذه الفترة قد تحدث بعض الحركات للأطراف أو غيرها بسبب تفاعلات كيميائية داخل الخلايا قد تحث العضلات على الانقباض. كما قد يخرج صوت من الميت نتيجة تعفُّن الخلايا وخروج غازات تصطدم بالأحبال الصوتية محدثة هذا الصوت[١،٢،٣].

[١] انظر الشبكة الدولية للمعلومات:
http://en.wikipedia.org/wiki/death-and-dying: Death and dying

[٢] انظر الشبكة الدولية للمعلومات:
http://www.bbc.co.uk/dna/h2g2/A2451683: The process of death and decomposition

[٣] انظر الشبكة الدولية للمعلومات:
http://www.en.wikipedia.org/wiki/clinical death 72k: Clinical death

ونفصل فنقول: إنه إذا توقف المخ عن العمل لعدة دقائق فإنه لا يعود إلى الحياة مرة أخرى. بينما تزيد هذه المدة في حالة القلب وباقي أعضاء الجسم الأخرى. فلو استطعنا إعادة القلب للعمل بعد موت المخ الكلي بواسطة صدمة كهربية مثلا فلن يعود المخ للحياة أبدًا. وكما ذكرنا فتنظيم نبضات القلب يعتمد على أوامر تأتيه من المخ. ولذلك فهذا القلب في الإنسان الذي مات مخه لا يستطيع أن يعمل إلا بواسطة أدوية تحقن بالوريد طوال الوقت. وإذا توقف إعطاء هذه الأدوية اضطرب عمل القلب وتوقف عن العمل والحياة. فحياة هذا القلب ليست حياة حقيقية تخدم هذا الجسد. ولكنها كالحياة الصناعية التي تعتمد على مؤثرات خارجية صناعية غير المخ. ويعتبره الطب موتًا جسديًّا أو موتًا إكلينيكيًّا. ونفهم من هذا أن توقف سر الحياة في المخ هو العامل المحدد لإمكانية الشفاء أو الرجوع من حالة الموت الإكلينيكي؛ لأن المخ هو السيد المهيمن على عمل القلب والتنفس الضروريين لحياة جميع أنسجة الجسم وخلاياه. ولذلك فإن موت المخ يتبعه - بدون أجهزة التنفس الصناعي - موت جميع خلايا وأنسجة الجسم. أي: أن نزع سر الحياة من المخ هو نزع لسر الحياة من جميع خلايا وأعضاء الجسم.

المسألة الثالثة

عند الموت هل مغادرة الروح للجسد ومغادرة سر الحياة يحدثان معًا أم يسبق أحدهما الآخر؟

من الأدلة التي سنذكرها سنرى أن مغادرة الروح للجسد تسبق توقف سر الحياة في الإنسان ككل وفي أعضائه وأنسجته وخلاياه.

الدليل الأول:

هو دليل افتراضي منطقي يمكن أن نفهمه إذا أخذنا في الاعتبار المبدأين التاليين:

١. إن الموت هو نقيض الحياة - كما ذكرنا - وبالتالي فهو يتكون من جزأين هما مغادرة الروح للجسد وتوقف سر الحياة.

٢. إن "نقض البناء يكون عكس مراحل البناء" فنحن نقيم طوابق البناء من أسفل لأعلى وعند هدمه نبدأ بهدم الطابق الأعلى ثم الأسفل. ويمكن تطبيق هذا المبدأ على مراحل خلق الإنسان. يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (الكهف: ٥١). فنحن لم نشهد مراحل خلق الإنسان الأول (آدم) التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من تراب. ثم أضاف له الماء فأصبح طينًا لازبًا. ثم تركه يجف ليصبح حمأً مسنونًا وبعد التسوية نفخ فيه الروح. وبما أن الله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة فهو سبحانه يعطينا المثل الذي نستطيع أن نشهده في الحياة الدنيا لنصدق الغيب الذي لا نراه وذكره لنا المولى سبحانه وتعالى. فعند الموت تحدث تغيرات بترتيب عكسي لمراحل

الخلق. فخروج الروح يتبعه تيبس الجسم (التيبس الرمي). ثم يليه ارتخاء العضلات (جسد لين). ثم يتبخر الماء الموجود بالجسد. وتبدأ أنسجة الجسم في التعفن والتحلل. وبعد التحلل يصير شكلها الظاهري كالتراب العادي. وعلى مستوى العناصر تعود إلى عناصرها الأولية الأساسية المكونة لها والموجودة في التراب.

ونحن نعرف جيدًا مراحل خلق الجنين ونعرف أن الجنين قبل مائة وعشرين يومًا (نفخ الروح) هو كائن حي به سر الحياة. ونراه بالموجات الصوتية (مشاهدة عيان أو عين يقين) وهو يتحرك ويسبح وقلبه ينبض. ثم نحن نعلم من الحديث الشريف الصحيح أن الروح تُنفخ في الجنين عند مائة وعشرين يومًا. فإذا كان الموت هو نقيض الحياة فإن المنطق يُحتِّم الترتيب العكسي عند الموت. فتغادر الروح الجسد أولا ثم يتوقف سر الحياة بعد ذلك.

الدليل الثاني:

ذكرنا سابقًا - في المسألة الأولى والثانية - أنه بعد التحقق من موت الإنسان- أي توقف القلب والتنفس والمخ عن العمل وبعد ظهور كل العلامات التي أقرها الطب وعلماء الدين لتشخيص الموت وقبض الروح وحتى بعد دفن الجسد في التراب- فإننا نستطيع أن نأخذ مثلا قرنية العين من هذا الجسد الميت بعد موته بعشر ساعات أو أكثر. ثم نستطيع نقلها إلى جسد آخر. وتستطيع خلايا هذه القرنية أن تظل حية في الجسد الجديد لسنين طويلة. بينما جسد صاحبها الأصلي مختلط بتراب الأرض. وهذا يثبت أنه بالرغم من أن الروح قد غادرت الجسد فإن سر الحياة في الأعضاء والأنسجة أو الخلايا منفردة ما زال موجودًا لساعات في جسد الميت بعد مغادرة الروح؛ أي: أن قبض الروح لا يلغي سر الحياة. ولكن يليه توقف سر الحياة.

الدليل الثالث:

أحاديث شخوص البصر عند الموت: ذكرنا سابقًا - في الحديث عن الروح - أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أنه عند الموت فإن البصر يتبع أو يشخص إلى الروح أو النفس في الأحاديث التالية:

١. عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"[١] وفي شرح النووي قال: شق بصرُه بضم الراء أو شق بصرَه بفتح الراء، وكلاهما صحيح. قال القاضي: قال صاحب الأفعال: يقال شق بصر الميت وشق الميت بصره، ومعناه شخص. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" يعني أنه بعد مغادرة الروح للجسد ووجودها في قبضة ملك الموت فإن العين ما زالت تبصر روحها وتتبعه؛ أي: أن سر الحياة لم يتوقف بعد في العين، والعصب البصري الذي يتكون من مليون حبل عصبي ما زال يعمل، كما أن المخ الذي تطبع فيه الصورة ويفسرها باستخراج معناها من الذاكرة ما زال به سر الحياة، وإذا فهمنا "تبعه البصر" بمعنى يليه أو يسير خلفه أو بعده، فذلك أيضًا يفيد أن الروح تقبض قبل توقف سر الحياة في العين والعصب البصري والمخ.

٢. ونفس هذا المعنى نجده في الحديث التالي عن شداد بن أوس قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر، فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرًا، فإنه يؤمن على ما قال أهل البيت»[٢].

٣. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ؟». قالوا: بلى. قال: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»[٣].

[١] الحديث: سبق تخريجه.
[٢] الحديث: سبق تخريجه.
[٣] الحديث: سبق تخريجه.

وفي شرح النووي[1]: قوله صلى الله عليه وسلم: «شخص بصره»: أي: ارتفع ولم يرتد، وقوله صلى الله عليه وسلم: «يتبع بصره نفسه». المراد بالنفس هنا الروح. قال القاضي: وفيه أن الموت ليس بإفناء، وإنما هو انتقال وتغير حال وإعدام الجسد دون الروح.



شكل (٨): شكل يوضح كيف يبصر المخ بواسطة العين من خلال العصب البصري

الدليل الرابع:

يتحدث القرآن الكريم في سورة الواقعة عن مغادرة الروح الجسد فيقول: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٧)) (الواقعة:٨٣-٨٧).

[1] انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام يحيى بن شرف النووي - تحقيق عبد العظيم بدوي، يحيى محمد سوس - دار ابن رجب - دار الفوائد - طبعة أولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

وهنا يبين الله سبحانه وتعالى لنا حقيقتين:

الأولى: إن الحلقوم هو آخر جزء من الجسد تغادره الروح، وهذا نفهمه من أسلوب التحدي لأي شخص أن يستطيع إرجاع الروح إلى مستقرها داخل الجسد.

الثانية: إذا وصلت الروح إلى مستوى الحلقوم فهي قد تركت مستقرها داخل الجسد، وهذا نفهمه من كلمة «ترجعونها» ولم يستخدم مثلا كلمة تدخلونها، فالإرجاع يدل على أنها تركت مكانها الأصلي داخل الجسد حتى وصلت إلى مستوى الحلقوم، وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ولم يقل مثلا ذاهبون مما يدل على أن الأرواح ترجع لمكانها الأصلي عند الله سبحانه وتعالى والذي كان قد أرسلها مع ملائكته لنفخها في جسد الجنين.

وهنا يجيء دور الحديث الشريف في تفسير هذه الحقيقة، فيبين لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه إذا وصلت الروح الحلقوم فلا تقبل التوبة ولا تقبل الوصية:

(أ) يقول الحديث الشريف: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما لم يغرغر»: أي: لم تبلغ روحه حلقومه، فإذا وصلت الروح للحلقوم فلا توبة[2،3].

(ب) عن أبي هريرة: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «أن تصدق وأنت شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل

[1] الحديث: أخرجه الترمذي (٣٥٣٧/٥) في الدعوات/ باب: في فضل التوبة، وابن ماجة (٤٢٥٣) في الزهد/ باب: ذكر التوبة، وأحمد في المسند (٦٤٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٣) وصحيح سنن الترمذي (٢٨٠٢).

[2] انظر: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: للإمام أبي زكريا شرف النووي - تحقيق محمود المصري - مكتبة المجلد العربي - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤م.

[3] انظر: شرح رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي: شرحه فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - طبعة محققة ومخرجة الأحاديث وعليها تعليقات الشيخ الألباني على الأحاديث - مكتبة الإيمان.

حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[1]. وقد جاء في شرح هذا الحديث الشريف: «قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» كناية عن الوصية لأشخاص - أي: أوصي لفلان بكذا ولفلان بكذا - أي: أوصيت بدفع الحقوق حيث لا تنفع وصيتك. فقد صار التصرف في مالك للورثة وهم المقصود بهم قوله صلى الله عليه وسلم: فلان وفلان. وقيل معناه: وقد صار المال لفلان وفلان من الورثة فلا حق لك في إنجاز الوصية إلا بإجازة الورثة. كما قيل: «حتى إذا بلغت الحلقوم» أي: بلغت الروح ولم يجئ للروح ذكر اغتناءً بدلالة السياق، والحلقوم مجرى النفس عند الغرغرة[2،3].

ونفس هذا المعنى جاء في الحديث القدسي، يقول الله تعالى: «يا ابن آدم: أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ووضعت، حتى إذا بلغت نفسك هذه - وأشار إلى حلقه، وفي رواية: حتى إذا بلغت التراقي - قلت أتصدق وأنى أوان التصدق؟!»[4] ويفيد الحديث القدسي فوات أوان التصدق ببلوغ الروح الحلقوم.

وهنا نصل إلى الاستنتاج التالي: إذا وصلت الروح للحلقوم فهي قد غادرت مستقرها الأصلي في الجسد وهي الآن في آخر مرحلة قبل مغادرة الجسد؛ أي غادرت الجسد كله ما عدا آخر منفذ لها للمغادرة؛ لأن حلقوم الإنسان معناه لغة طرفه أو أعلاه، فكأنه طرف

---

[1] الحديث: أخرجه البخاري (١٤١٩) كتاب الزكاة/ باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح، (٢٧٤٨) كتاب الوصايا/ باب: الصدقة عند الموت، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة/ باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

[2] انظر: تيسير صحيح البخارى: الدكتور موسى شاهين لاشين - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

[3] انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - أعد فهارسه سيد عمران - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

[4] الحديث القدسي: قال الألباني في السلسلة الصحيحة: رواه ابن ماجة (١٥٩/٢)، وأحمد (٢١٠/٤)، وابن سعد في الطبقات (٤٢٧/٧) وإسناده صحيح.

الإنسان أو طرف المكان من الجسد الذي كانت تشغله الروح. وبوصول الروح إلى الحلقوم فإن الإنسان ما زال يستطيع أن يتكلم ويتصدق ويوصي ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى. فالوصية والصدقة والتوبة يلزمها قدرة الشخص على الكلام ليوصي أو يتصدق أو يتوب. والقدرة على الكلام يلزمها إرسال إشارات من المخ إلى عضلات البطن والصدر والحجاب الحاجز ليحدث شهيق وزفير كي يصعد الهواء من الرئتين عبر القصبة الهوائية ليصطدم بالأحبال الصوتية ليحركها. ثم يلزم تحريك الشفتين واللسان والحلق ليحدث الكلام. وهذا يدل على أنه بالرغم من أن الروح غادرت كل الجسد وهي الآن على وشك المغادرة النهائية من آخر منفذ لها في الحلقوم فإن سر الحياة ما زال موجودًا في المخ والبطن والصدر والحجاب الحاجز والحنجرة والحلقوم والفم. وأيضًا القلب؛ لأنه بما أن المخ والتنفس يعملان فقطعًا ما زال القلب ينبض؛ لأنه يمد المخ بغذائه الضروري للحياة. وهذه دلالة واضحة على أن مغادرة الروح لجسم الإنسان تسبق توقف سر الحياة في أعضاء جسده.

ونخلص من هذه الأدلة الأربعة إلى الاستنتاجات التالية:

١. الروح تغادر الجسم قبل توقف سر الحياة في الإنسان (ككائن حي) اعتمادًا على المنطق وقانون الأسباب.

٢. الروح تغادر الجسم قبل توقف سر الحياة في خلايا وأنسجة وأعضاء الجسم منفردة.

٣. الروح تغادر الجسم (تقبض) قبل توقف سر الحياة في المخ (وهذا نستدل عليه من أحاديث شخوص البصر عند الموت).

٤. الروح تترك مستقرها في الجسد قبل توقف سر الحياة في المخ والتنفس والقلب (وهذه الأجهزة كما ذكرنا هي الأجهزة الحيوية التي إذا توقف واحد منها عن العمل مات الإنسان).

المسألة الرابعة

عند الوفاة هل تغادر الروح القلب أولا أم المخ؟

الإجابة على هذا السؤال هي أن الروح تغادر القلب قبل مغادرة المخ. وذلك نفهمه من الأدلة التالية:

الدليل الأول:

حديث قبض الروح المستفيض عن البراء بن عازب يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن العبد المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوهم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه. فيقول: أيتها النفس الطيبة (وفي رواية المطمئنة) اخرجي اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. فيأخذها (وفي رواية: حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء. وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم). فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن. وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام:٦١). ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض. وقال: فيصعدون بها فلا يمرون- يعني بها- على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا .... (باقي الحديث) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر)

إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد سود الوجوه معهم المسوح من النار فيجلسون منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة. اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول... (باقي الحديث)"[1]. نلاحظ من هذا الحديث الشريف أن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن ملك الموت يجلس من المحتضر «عند رأسه». ولا يكون منطقيًّا أن يجلس ملك الموت عند رأس العبد المؤمن وقت احتضاره وينادي الروح ليأخذها في يده فتخرج من مكان آخر من رجليه مثلا. وإنما المنطق يقول: إن الروح تخرج باتجاه جلوس ملك الموت عند رأس المحتضر. فهي تخرج باتجاه الرأس. وبالمثل عند احتضار العبد الكافر يجيء ملك الموت ويجلس عند رأسه وينادي الروح. فتفرق في جسده فينتزعها. وأيضًا فالمنطق هو أن ينتزعها من الجسد باتجاه جلوسه عند الرأس. أي أنها تخرج باتجاه الرأس أو من أسفل لأعلى. وبذلك فهي تمر عند خروجها بمستوى القلب قبل مستوى الدماغ أو المخ.

الدليل الثاني:

انظر إلى حديث القرآن الكريم عن مغادرة الروح لجسد الإنسان عند الاحتضار والذي جاء مرتين إحداهما في سورة الواقعة والأخرى في سورة القيامة: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾ (الواقعة: ٨٣-٨٧). ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ(٢٨)﴾ (القيامة:٢٦-٢٨)

---

[1] الحديث: سبق تخريجه.

ونشرح المعنى فنقول: في سورة الواقعة يتحدث القرآن الكريم عن وصول الروح إلى مستوى الحلقوم. والحلقوم لغة هو الحلق أو الحلقم. وهذه الكلمة تفيد أربعة معاني هي الارتفاع. والطرف. والضيق. والحِمَى[١،٢،٣].

المعنى الأول: كلمة الحلقوم تفيد «الارتفاع والعلو». فيقال: فهممت أن أطرح نفسي من حالق: أي: من جبل عال. ويقال: كان يصلي العصر والشمس بيضاء محلقة: أي: مرتفعة. ويقال: حلق الطائر في جو السماء: أي: ارتفع. ويقال: نهى عن بيع المحلقات: أي: بيع الطير في الهواء. ولذلك عندما يقول القرآن الكريم: «فلولا إذا بلغت الحلقوم». فكأنه يفهمنا أن الروح ببلوغ الحلقوم قد «ارتفعت» أو «إذا بلغت علوها وارتفاعها». أي أن اتجاه خروج الروح أنها ترتفع من أسفل لأعلى أثناء مغادرتها للجسد.

المعنى الثاني: كلمة الحلقوم تفيد «الطرف». هذا المعنى نجده في حديث الحسن رضي الله عنه عندما قيل له: إن الحجاج يأمر بالجمعة في الأهواز. فقال: يمنع الناس من أمصارها ويأمر بها في حلاقيم البلاد؛ أي: في أطرافها وأواخرها؛ أي: أن حلقوم الرجل هو طرفه. فالروح بوصولها إلى الحلقوم قد وصلت إلى طرف الإنسان أو المحطة الأخيرة قبل تمام مغادرتها للجسد.

المعنى الثالث: كلمة الحلقوم تفيد «الضيق». يقال: نزلنا في مثل حلقوم النعامة: أي في مكان ضيق. وهنا يحضرني قول عمرو بن العاص رضي الله عنه حين حضره الموت: قالوا له: كيف تجدك؟ فقال: أرى كأن السماء انطبقت على الأرض. وكأن روحي تخرج من

---

[١] انظر: غريب الحديث لابن الجوزي: وثق أصول الكتاب وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي - طبعة دار الكتب العلمية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

[٢] انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري- ابن الأثير - تحقيق طاهر أحمد الزاوي . ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

[٣] انظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري - دار صادر بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣م.

ثقب إبرة[1].

المعنى الرابع: كلمة الحلقوم تفيد «الحِمَى». فحلقة القوم هي الحمى: أي أن القوم إذا جلسوا فلهم أن يحموا حلقتهم أن يجلس فيها أحد. وإذا جمعنا هذه المعاني الأربعة فإننا نجد أن الحلقوم ـ من جسم الإنسان ـ بالنسبة للروح هو أعلاه وطرفه. كما أن الروح بخروجها من الجسد مارة بالحلقوم. فهي تخرج من ضيق الجسد إلى عالم البرزخ اللامحدود. كما أنها بوصولها إلى الحلقوم فهي ما زالت في حِمَى الجسد ولم تغادره تمامًا. فإذا تحدى الله سبحانه وتعالى أي شخص أن يستطيع إرجاع الروح إلى مستقرها الأصلي في الجسد وهي ما زالت في حماه. فما بالنا إذا غادرت الجسد تمامًا فيستحيل رجوعها إلى مستقرها في الجسد.

ولكن لماذا استعمل القرآن الكريم والحديث الشريف لفظ الحلقوم ولم يستعمل لفظ الحلق؟ يبين كتاب لسان العرب الفارق بين الكلمتين. فيقول: إن الحلق هو مسار الطعام والشراب للمريء. والجمع أحلاق. بينما الحلقوم هو مجرى النفس والسعال من الجوف. طرفه الأسفل في الرئة. وجمعه حلاقيم وحلاقم. ويقال: تمام الذكاة قطع الحلقوم والمريء والودجين. ولذلك فاستعمال كلمة الحلقوم بدلا من الحلق يفيد أن مسار خروج الروح من الجسم يكون مع مسار النَّفَس. والنَّفَس يخرج من أسفل لأعلى (من الرئة إلى القصبة الهوائية إلى الحلقوم. ثم من فتحة الأنف).

ويحضرني هنا حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به. فأبَدَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره. فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته. ثم دفعته إلى النبي صلى

---

[1] انظر: الدار الآخرة والاستعداد للموت: فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهري - أعده للنشر الشيخ محمد أبو العباس - دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الله عليه وسلم فاستن به. فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استنانًا قط أحسن منه. فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده أو إصبعه. ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثًا. ثم قضى. وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي[١،٢،٣]. ويشير الحديث إلى أن استنان الرسول صلى الله عليه وسلم بشدة قبل وفاته مباشرة. فكأنما أراد أن يطيب رائحة نَفَسه مع خروج روحه من جسده الشريف مع مسار النَّفَس لمقابلة الله سبحانه وتعالى.

ونشير هنا إلى الحديث الشريف الذي رواه ابن حبان والحاكم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس. فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»[٤]. والمعروف طبيًّا أن العطس يحدث بسبب تهيج الغشاء المخاطي المبطن للأنف. أي: أن مسار دخول الروح في الجسد عند نفخها يكون عن طريق الأنف (وهو المسار الضيق للنَّفَس). والفتحة الخلفية للأنف تؤدي إلى الحلقوم. وبذلك نرى أن دخول الروح مع مجرى النَّفَس (كما يستفاد من الحديث الشريف السابق) وخروجها من مجرى النفس (كما يستفاد من كلمة الحلقوم). يتوافق مع قانون الأسباب (القوانين المنظمة للكون). ومنها أن مراحل إقامة البناء هي عكس أو نقيض مراحل هدم البناء. فكما أن دخول الروح يكون عن طريق فتحة الأنف. ثم إلى الحلقوم. فعند خروجها هي تتبع المسار العكسي وهو الحلقوم متجهة إلى فتحة الأنف؛ أي أن الحلقوم هو آخر محطة تخرج بعدها الروح من الفتحة الموصلة لخارج الجسد.

---

[١] الحديث: أخرجه البخاري (٤٤٣٨) كتاب المغازي/ باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

[٢] انظر: السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري - تحقيق محمد شحاتة إبراهيم - دار المنار للطباعة والنشر.

[٣] انظر: الرحيق المختوم - بحث في السيرة النبوية: تأليف صفي الرحمن المباركفوري - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

[٤] الحديث: رواه ابن حبان (٦١٦٥) ٥٩- كتاب التاريخ/ باب: البيان بأن قوله صلى الله عليه وسلم: لما خلق الله آدم عطس أراد به بعد نفخ الروح فيه (ص ١٦٣٩). والحاكم في المستدرك (٢١٤) ١- كتاب الإيمان (١٣٢/١، ١٣٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ونوجز فنقول: إن اختيار كلمة الحلقوم بدلا من الحلق يدل على أن مسار خروج الروح من الجسم هو «مع النَّفَس: أي: من أسفل لأعلى». وكأن إطلاق كلمة النَّفْس على الروح عند وجودها داخل الجسد (كما ذكرنا في المقدمة عن الروح) له علاقة بمسار دخول الروح للجسد ومغادرتها مع مسار النَّفَس. كما قد يشير استعمال كلمة «النفخ» عند وصف دخول الروح جسد آدم عليه السلام وبنيه من بعده إلى نفس هذا المعنى. فالنفخ يكون للهواء، والهواء هو الذي يدخل ويخرج مع النَّفَس. ويعضد هذا المعنى أن كلمة الروح قريبة جدًّا من كلمة «ريح» مما جعل البعض يعتقد أن مصدر ومعنى كلمة الروح هي «ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر» وهذا الاشتقاق أيضًا يناسب نفخ الروح مثلما ينفخ الهواء أو مثلما تنفخ الريح.

وإذا عُدنا لآية سورة الواقعة: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الواقعة: ٨٧) فكما ذكرنا في المسألة الثالثة تُشير الآية إلى معنيين:

المعنى الأول: هو تحدي الله سبحانه وتعالى أي شخص أو أي مخلوق أن يستطيع إرجاع الروح للجسد إذا وصلت إلى مستوى الحلقوم.

المعنى الثاني: يتضح من استعمال كلمة «ترجعونها» (ولم يقل مثلًا تدخلونها). فالرجوع هو عودة إلى المستقر الأصلي. فكأن الروح حين وصلت لمستوى الحلقوم فهي قد تركت مستقرها الأصلي في الجسد. وأن الحلقوم ليس هو مستقرها. وإنما هو آخر مكان تصله الروح أو المحطة الأخيرة قبل تمام مغادرة الجسد.

بينما إذا نظرنا إلى سورة القيامة ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ(٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة: ٢٦-٢٨): فإن روح المحتضر قد وصلت إلى مستوى التراقي.

والتراقي من الترقوة وهي العظم المشرف في أعلى الصدر والذي يصل بين ثغرة النحر والعاتق في الجانبين. وهما ترقوتان والجمع تراقي: أي أن التراقي هي عظام أعلى القفص الصدري الذي يوجد به القلب. ولكن ورد في تفسير القرطبي[1] والجلالين[2]: التراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة.

وإذا اعتبرنا التراقي عظام مقدم الحلق فهذا تأكيد لما ورد في سورة الواقعة من أن الحلقوم هو آخر محطة للروح قبل تمام مغادرتها للجسد. وهذا نفهمه من قول القرآن الكريم: «وقيل من راق وظن أنه الفراق». قيل «من راق» هو من الرقية: أي: يتساءل الموجودون من أهله وأقربائه حين وصول الروح للتراقي هل من طبيب شافٍ يرقيه (أي: يشفيه)؟ وقد أيقن المحتضر أنه فارق الدنيا والمال والأهل والولد. فهو سؤال استنكاري: أي: مَنْ الذي يقدر أن يرقى هذا الإنسان المشرف على الموت؟ والإجابة لا أحد [3،4].

ولكن بما أن لفظ التراقي يعني في معظم المعاجم والتفاسير عظام أعلى الصدر، وهو مستوى يقع أسفل مستوى الحلقوم. فقد جاء التعبير القرآني في سورة القيامة بصيغة التساؤل عن إمكانية وجود الراقي أو الشافي «من راق». وهو أسلوب هادئ أقل حدة من أسلوب التحدي الشديد لإرجاع الروح إذا وصلت الحلقوم في سورة الواقعة. وأيضًا جاء القرآن الكريم بلفظ «ظن». وهو أقل من «تيقن» بالرغم من أن المفهوم هو التيقن

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تقديم هشام سمير البخاري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - طبعة أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

[2] انظر: تفسير الجلالين: للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي . والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي - مكتبة الصفا- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

[3] انظر تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل القرآن: للإمام ابن جرير الطبري - تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[4] انظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني - دار الصابوني - الطبعة التاسعة.

من الموت. وهذا التغير في التعبير من الأسلوب الهادئ عند وصول الروح أعلى مستوى القفص الصدري الذي يوجد به القلب (أي: تركت القلب الذي يوجد في منتصف القفص الصدري) إلى أسلوب التحدي القوي عند وصول الروح للحلقوم (ومستوى الحلقوم أفقيًّا في الجسد يماثل نفس مستوى بداية جذع المخ) يشير إلى أن وصول الروح للحلقوم يأتي بعد وصولها ومغادرتها للقلب؛ أي: أن الروح تغادر الجسد من أسفل لأعلى؛ أي: تغادر القلب قبل وصولها لمستوى جذع المخ. ونلاحظ أيضًا أن قوله تعالى: «من راق» يحتمل وجهًا آخر غير معنى «مَن الشافي؟» وهو أن يكون معنى الرقي هو الارتفاع. وهذا نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ (الإسراء:٩٣) فيكون المعنى كما جاء في تفسير القرطبي وابن كثير[1] عن ابن عباس وأبي الجوزاء أنه من رقي يرقي إذا صعد. والمعنى من يرقي (يصعد) بروحه إلى السماء؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة. وبذلك نلاحظ أن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عندما وصف مغادرة الروح للجسد عند الاحتضار فقد استعمل في المرتين كلمتين تفيدان الارتفاع والصعود. وهما «الحلقوم» و«من راق». فكأن اتجاه خروج الروح من الجسد أنها ترتفع من أسفل لأعلى.

ونلخص ما جاء في الدليل الثاني في النقاط التالية:

١. إن الحلقوم هو آخر محطة للروح قبل مغادرتها للجسد عند الموت: أي أنها إذا وصلت إلى الحلقوم تكون قد غادرت كل الجسد بما فيه القلب. وتشريحيًّا يقع الحلقوم أمام جذع المخ مباشرة: أي: على نفس المستوى الأفقي لبداية جذع المخ. ولا تزيد المسافة بينهما على السنتيمتر الواحد. والجزء المقابل للحلقوم من جذع المخ يسمى النخاع المستطيل (Medulla Oblongata) وهو الجزء الذي يتحكم في عملية التنفس.

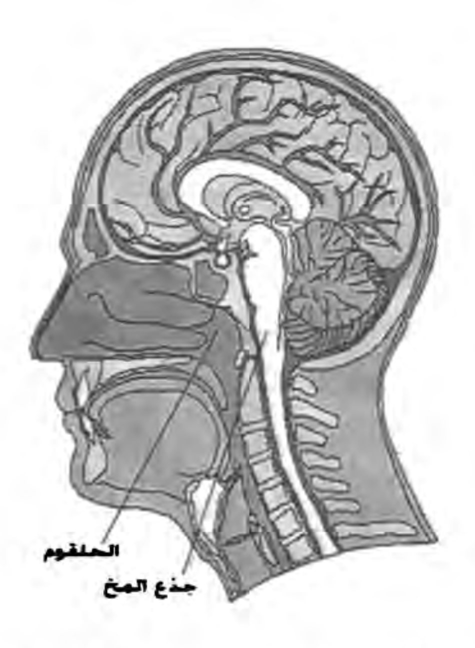
[1] انظر: تفسير ابن كثير: تحقيق العلامة محمد ناصر الألباني - خرج أحاديثه محمود بن الجميل. وليد بن محمد بن سلامة ، وخالد بن محمد بن عثمان - مكتبة الصفا - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٢. بما أن كلمة الحلقوم مشتقة من معنى الارتفاع، فإن جملة "إذا بلغت الحلقوم" تعني "إذا بلغت ارتفاعها"، أي: أن مسار الروح عند مغادرتها للجسد يكون من أسفل لأعلى.

٣. إن استعمال التعبير الهادئ في التساؤل عن وجود الراقي حين وصول الروح أعلى مستوى القفص الصدري الذي به القلب بالمقارنة بأسلوب التحدي القوي حين وصول الروح للحلقوم (مستوى بداية جذع المخ) يفيد أن وصول الروح للحلقوم يجيء بعد مغادرتها للقلب؛ أي: أن اتجاه مغادرتها للجسم يكون من أسفل لأعلى.

٤. استعمال القرآن الكريم والحديث الشريف لكلمة الحلقوم بدلا من الحلق يدل على أن مغادرة الروح للجسد يكون مع مسار النَّفَس؛ أي من أسفل لأعلى.

٥. اختيار القرآن الكريم لكلمتين تفيدان الارتفاع والعلو أو الصعود عند وصف مغادرة الروح لجسد المحتضر (في المرتين الوحيدتين اللتين تم فيهما وصف مغادرة الروح لجسد المحتضر في القرآن الكريم) يدل على أن الروح وهي تخرج فهي ترتفع أو تصعد من أسفل لأعلى، وبما أن أعلى الجسد هو الرأس فهي تغادر الجسد عند الاحتضار متجهة إلى الرأس (المخ)، أي تغادر مستوى القلب قبل مغادرة مستوى الدماغ (المخ).



شكل (٩): شكل يوضح مستوى الحلقوم الواقع أمام جذع للمخ مباشرة

الدليل الثالث: الحديثان الشريفان اللذان ذكرناهما سابقًا في المسألة الثالثة، ويثبتان - كما أثبت القرآن الكريم - أن الحلقوم (وهو مستوى بداية جذع المخ) هو آخر مكان للروح في الجسد.

١. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: "أن تصدق وأنت شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان"[١]. أي أن الوصية لا تُقبل بوصول الروح للحلقوم، فقد صار التصرف في المال للورثة.

٢. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"[٢] أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه؛ لأن هذه توبة المضطر الذي لم يعد لديه متسع

[١] الحديث: سبق تخريجه.
[٢] الحديث: سبق تخريجه.

لارتكاب الذنوب ولا فسحة لمفارقة الخطيئة، وهذه لا يقبلها الله سبحانه وتعالى؛ لأنها لا تنشئ صلاحًا في القلب ولا صلاحًا في الحياة ولا تدل على تبدُّل في الطبع.

الدليل الرابع: نعيد ذكر الحديثين الشريفين اللذين ذكرناهما سابقًا عن إغماض البصر عند الموت.

١. عن أم سلمة قالت: دخل الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"[١].

٢. عن شداد بن أوس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر؛ فإن البصر يتبع الروح...."[٢]. ويفيد الحديثان الشريفان أنه بعد مغادرة الروح لجسد الإنسان كله بما فيه القلب والمخ فما يزال هنالك رابط يربط بين سر الحياة في الجسد والروح بعد قبضها، وهي الآن في قبضة ملك الموت، وهذا الرابط هو الإبصار، ومن المعروف علميًّا أن الإبصار هو وظيفة المخ قبل أن يكون وظيفة العين، فالمخ هو الذي يميز الصورة؛ أي: يبصر، وهو يسترجع معناها من الذاكرة ليميزها، بينما العين ما هي إلا أداة لتوصيل الصورة إلى المخ ليراها ويفسرها.

وبذلك نفهم من هذين الحديثين الشريفين أن آخر اتصال للروح بالجسد -- وحتى بعد قبضها يكون بالمخ عن طريق الإبصار، وبإغماض الرسول صلى الله عليه وسلم لعيني أبي سلمة وأمره لنا بإغماض بصر الإنسان عند موته فكأنه برحمته صلى الله عليه وسلم يريد قطع آخر اتصال للروح بالجسد؛ لأنه صلى الله عليه وسلم علَّل إغماض العين

---

[١] الحديث سبق تخريجه.

[٢] الحديث سبق تخريجه.

بأنها تتبع الروح (باستعمال فاء السببية)، وذلك ليساعد الروح على التحرُّر من سجن الجسد. وبذلك نرى أن هذا الدليل الرابع يدل على أن آخر اتصال فعلي للروح بالجسد قبل وجودها في البرزخ يكون بالمخ و ليس بالقلب.

وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة طبية في علم الأجنة، وهي أن العين تعتبر أول عضو إحساس يبدأ في التكون في الجنين، فهي تبدأ تطورها مع بداية الأسبوع الرابع للحمل[١]. وحسب قانون الأسباب الذي ذكرناه كثيرًا بأن نقض البناء يكون عكس مراحل البناء، فإن هذا يتفق مع حقيقة أن العين التي تتكون في أول مراحل الحياة (حياة الأعضاء) تتوقف الحياة فيها في آخر مراحل الحياة، وهذا يظهر بوضوح في حديثي إغماض البصر عند الموت، وفي كون قرنية العين تظل خلاياها حية كنسيج منفرد لساعات طويلة بعد قبض الروح والموت الجسدي.

الدليل الخامس: وهذا الدليل افتراضي حيث لا يعتمد على قرآن كريم أو حديث شريف صحيح أو أدلة قطعية، ولكن جاء ذكره في تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي[٢] وهو ليس ضروريًّا لإثبات مغادرة الروح للقلب قبل المخ في هذا البحث؛ أي: أكتفي بالأدلة الأربعة السابقة، ولكني وجدت أن هذا المكان من البحث يناسب ذكره، وهو تصور لمسار دخول الروح الجسد وخروجها منه.

ورد في خلق آدم[٣] أنه بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى بيده جسد آدم من طين نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه فعطس، فقالت الملائكة: قل: الحمد لله فقال: الحمد لله. فقال له الله: يرحمك ربك. فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في

---

[١] انظر: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان: د. محمد فياض - دار الشروق - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[٢] ذكره الطبري في تفسيره (٤٥٩/١) وابن كثير في تفسيره (٢٢٩/١) والقرطبي في تفسيره (٢٨١/١) عند تفسير الآية رقم ٣٠ من سورة البقرة.

[٣] انظر: البداية والنهاية: للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - خرج أحاديثه الشيخ محمد بيومي . أ. عبد الله المنشاوي، أ. محمد رضوان مهنا - مكتبة الإيمان.

جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ الروح رجليه، فنهض عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: ٣٧). وبذلك يتبين أنه عند خلق آدم ثم نفخ الروح فيه فإن ترتيب واتجاه دخول الروح حدث كالآتي:

١. «دخل الروح في رأسه فعطس». والمعروف طبيًّا كما ذكرنا سابقًا أن العطس يحدث بسبب تهيج الغشاء المخاطي المبطن للأنف، فكأن الروح دخلت من فتحة الأنف. وأيضًا من المعروف طبيًّا أن فتحة الأنف الخلفية تؤدي إلى الحلقوم، وقد ذكرنا سابقًا الحديث الشريف المذكور في ابن حبان والحاكم عن عطس آدم بعدما نفخ فيه الروح.
٢. "فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة". وبذلك نقول: إن الروح اتجهت من الحلقوم لأعلى ووصلت إلى المخ، لأن الإبصار كما قلنا سابقًا هو وظيفة المخ، بينما العين ما هي إلا أداة لتوصيل الصورة إلى المخ ليميزها.
٣. "فلما دخل الروح في جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ الروح رجليه". أي: ثم اتجهت الروح في اتجاه سفلي إلى الجوف ثم إلى الرجلين.

وإذا بنينا اتجاه خروج الروح من الجسد في اتجاه عكسي لدخولها فيه (حسب قانون الأسباب) فإنه يكون كالتالي:

١. تخرج الروح - متجهة لأعلى - من رجليه إلى جوفه، ثم إلى الحلقوم.
٢. ثم تخرج الروح من الرأس (المخ) والعينين إلى الحلقوم.
٣. ثم تغادر الروح من الحلقوم إلى خارج الجسد عن طريق فتحة الأنف.

وهذا الاتجاه الذي وضعنا تصوره لخروج الروح من الجسد يتشابه إلى حد كبير مع اتجاه وترتيب توقُّف حياة الجسد عند الموت (إلا في أحيان نادرة).

(أ) فنحن نلاحظ أنه عند الموت تبرد الأطراف السفلى وتتوقف فيها الحياة متجهة لأعلى، وكم من أناس صرحوا عند الموت بما يحسون به من أن أطرافهم السفلى تموت باتجاه من أسفل إلى أعلى.

(ب) وأيضًا فمن المعروف طبيًّا أن توقف المخ عن العمل وعن الحياة يحدث أولا في المراكز العليا للمخ، ثم يمتد في اتجاه نزولي إلى مراكز المخ السفلى.

وهذا التشابه في اتجاه خروج الروح من الجسد (الذي افترضناه) مع اتجاه توقف أعضاء الجسد عن الحياة (أو الموت الجسدي) يشير إلى الاستنتاج الذي ذكره ابن القيم في كتابه عن الروح، وهو "إذا فسدت الأعضاء بسبب ينافي الروح وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح الجسد وانفصل إلى عالم الأرواح". أي: عندما تجد الروح أن هذا الجسد ليس مناسبًا لتقبل آثارها، أو ليس مناسبًا لحمل الأمانة فإنها تغادر هذا الجسد.

المسألة الخامسة

هل الوزر الشرعي الرئيسي يقع على إزهاق الروح أم يقع على إزهاق سر الحياة؟

كرم الله سبحانه وتعالى جميع مخلوقاته، فقد أوصى في كتابه الكريم وبوحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالحفاظ على كيان كل مخلوقاته وتكريمها، ونهى عن إلحاق الأذى بها سواء كانت جمادًا أو نباتًا أو حشرات أو طيرًا أو حيوانًا أو إنسانًا، ويظهر لنا ذلك جليًّا في الآتي:

- الجماد: نهت السنة النبوية الشريفة عن تلويث البيئة (الماء والهواء والطريق)، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء الراكد[1] وعن التغوط في الطريق[2].
- النبات: يوصي الحديث الشريف بالحفاظ على النبات "إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها"[3].
- الحشرات: في الحديث الشريف عاتب الله سبحانه وتعالى نبيًّا من الأنبياء حرق قرية من النمل بسبب أن قرصته نملة[4].

---

(1) الحديث: أخرجه مسلم (٢٨١، ٢٨٢) كتاب الطهارة/ باب: النهي عن التبول في الماء الراكد.

(2) الحديث: أخرجه مسلم (٢٦٩) كتاب الطهارة/ باب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال.

(3) الحديث: سبق تخريجه.

(4) الحديث: أخرجه مسلم (٢٢٤١) كتاب السلام/ باب: النهي عن قتل النمل.

- الطير: عندما مر ابن عمر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من فعل هذا[1].
- الحيوان: أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بإحسان الذبح وتحديد الشفرة[2]. وأخبر أن امرأة عُذِّبت في هرة سجنتها حتى ماتت[3]. وغفر الله سبحانه وتعالى لبغي سقت كلبًا في يوم حار[4]. كما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب أو وسم الحمار في وجهه[5].
- جسد الإنسان حيًّا أو ميتًا:

أولا: جسد الإنسان في حياته:

- جعل الله لكل داء دواء[6] .
- نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ضرب وجه الإنسان حتى أثناء قتاله[7]. وأخبر عن الوعيد الشديد للذين يعذبون الناس[8].
- إذا بتر جزء من جسم الإنسان وهو حي فهو يدفن كما يدفن الميت تمامًا.

ثانيا: جسد الإنسان بعد مماته:

- فرض تغسيل الميت وآداب تغسيله من عدم كشف العورة، والرفق في تقليبه (كسر عظام الميت ككسر عظام الحي)[9]. وتغسيله بماء وسدر وكافور[10] وجعل ثواب كبير لمن قام بالغُسل، والكتمان والستر على أي مكروه قد يراه في جسد الميت.

---

[1] الحديث: أخرجه البخاري (٥٥١٣،٥٥١٥) كتاب الذبائح والصيد/ باب: ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة. ومسلم (١٩٥٧، ١٩٥٨) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان/ باب: النهي عن صبر البهائم.

[2] الحديث: أخرجه مسلم (١٩٥٥) كتاب الذبائح والصيد/ باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

[3] الحديث: أخرجه البخاري (٣٤٨٢) كتاب أحاديث الأنبياء ومسلم (٢٢٤٢، ٢٢٤٣) كتاب السلام/ باب: تحريم قتل الهرة.

[4] الحديث: أخرجه مسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام/ باب: فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها.

[5] الحديث: أخرجه مسلم (٢١١٦، ٢١١٧) كتاب اللباس والزينة/ باب: النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه.

[6] الحديث: أخرجه مسلم (٢٢٠٤) كتاب السلام/ باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي.

[7] الحديث: أخرجه مسلم (٢٦١٢) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: النهي عن ضرب الوجه.

[8] الحديث: أخرجه مسلم (٢٦١٣) كتاب البر والصلة والآداب/ باب: الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق.

[9] الحديث: رواه أبو داود (٣٢٠٧)، وابن ماجة (١٦١٦)، وصححه الألباني.

[10] الحديث: أخرجه مسلم (٩٣٩) كتاب الجنائز/ باب: في غسل الميت.

- إحسان الكفن "إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه"[1].
- دفن جسد الميت في التراب كراهة تعفنه وانبعاث روائح كريهة منه ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: ٢١).

ومن مظاهر تكريم الله سبحانه وتعالى لجميع مخلوقاته أنه أقسم بها في كتابه الكريم، والقسم لا يكون إلا بثمين.

- فأقسم بالجماد: الشمس، والقمر، والنجم، والجبل (الطور).
- وأقسم بالنبات: التين والزيتون.
- وأقسم بالحيوان: العاديات (الخيل).
- وأقسم بالإنسان ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (البلد: ٣).
- وأقسم بالملائكة: الصافات والمرسلات والنازعات.
- وأقسم بالنفس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس: ٧)، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢).
- وأقسم بالزمان: الليل، والفجر، والضحى، والعصر، ويوم القيامة.
- وأقسم بالمكان: البلد، السماء، مواقع النجوم.

---

[1] الحديث: أخرجه مسلم (٩٤٣) كتاب الجنائز/ باب: في تحسين كفن الميت.

وكرامة المخلوقات تنبع من مصدرين:

أولهما: انتساب المخلوقات للخالق عز وجل (خلق الله)، والإنسان يكره إيذاء أي شيء من صنعه، فما بالنا بالله سبحانه وتعالى ذي الرحمة الواسعة.

ثانيهما: جميع المخلوقات تسبح لله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٤)، وتسجد له ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥)، وهذا التسبيح وهذا السجود ليسا سجودًا وتسبيحًا رمزيًّا، بل هو تسبيح حقيقي، فكل المخلوقات في عالم الجماد والنبات والحيوان تتكلم بلغة لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها خالقها ويعرفها من فقهه الله سبحانه وتعالى في لغاتهم، والأمثلة على هذا كثيرة في القرآن الكريم من استجابة الأرض والسماء والجبال لأوامر خالقها، وتعليم سليمان عليه السلام منطق الطير، فتحدث مع الهدهد كما سمع وفهم حديث النمل، فضلًا عن كلام الملائكة وحديث الجن.

وإذا نظرنا إلى تكريم الإنسان فإننا نجد أن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان وقدمه على جميع مخلوقاته، وكما ذكرنا في بداية هذا البحث فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من عنصرين هما الجسد والروح، كما ذكرنا أن مادة خلق جسد الإنسان هي نفس مادة خلق جميع الكائنات الحية التي نراها حولنا؛ والتي كرمها خالقها، وهي العناصر الأساسية الأولية المكونة لجميع المخلوقات والموجودة في التراب والطين والنبات والحشرات والحيوان، والصورة الجميلة لجسد الإنسان تنفك أواصرها بحدوث الموت، وتتعفن وتتحلل

إلى عناصرها الأولية كما هو الحال في جميع الكائنات الحية التي نراها حولنا. وكما كرم الله سبحانه وتعالى جسد الإنسان حيًّا وميتًا فإنه كرم جميع الكائنات المخلوقة من نفس مادة جسد الإنسان. ولكن يتفوق جسد الإنسان على باقي أجساد المخلوقات الأخرى بتقبله لنفخ روح من الله سبحانه وتعالى فيه كما أن هذا الجسد يبعث يوم القيامة ليشهد على صاحبه.

وقد تكون مادة خلق الإنسان من الطين- كما ادَّعى إبليس- أقل قيمة ماديًّا من مادة خلق الملائكة وهي النور أو من مادة خلق الجن من النار. وقد يفهم هذا المعنى في سورة «الصافات». فبعدما تكلم الله سبحانه وتعالى عن الملائكة والجن والكواكب والشهب خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: ١١). وبذلك يفهم أن تكريم الإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات ليس بسبب مادة خلقه وإنما بسبب نفخ الله فيه من روحه أو بقابلية هذا الجسد لاستقبال الروح. وهذا ما لم يفهمه إبليس عندما قارن مادة خلقه بمادة خلق الإنسان.

وهناك أدلة توضح أن وجود روح من الله سبحانه وتعالى في جسد الإنسان هو سبب تفضيله على جميع المخلوقات. بل وتسخيرهم له والعمل على خدمته. ومن هذه الأدلة:

١. إضافة الروح لله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (ص: ٧٢ - الحجر: ٢٩). وهي إضافة تشريف وتكريم وتخصيص ومحبة من الله سبحانه وتعالى لها. كأن نقول: ناقة الله. بيت الله. ورسول الله.

٢. قَرَنَ الله سبحانه وتعالى الأمر بسجود الملائكة لآدم:

(أ) تارة بنفخ الروح فيه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: ٧٢ - الحجر: ٢٩). والفاء (في: فقعوا) تفيد السببية. كما تفيد التعقيب مع السرعة.

(ب) وتارة أخرى بجعله خليفة في الأرض وتعليمه الأسماء كلها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤)﴾ (البقرة ٣٠-٣٤).

والمعنى هو أن تعليم آدم الأسماء كلها هو إعطاؤه القدرة على تذكُّر أسماء الأشياء: أي: يضعها في ذاكرته. ثم يستطيع استرجاعها. بالإضافة إلى قدرته على اشتقاق الأسماء للأشياء التي يراها والأفعال التي تقع أمامه. ثم إن تراكم المعلومات في ذاكرته والقدرة على استرجاعها أكسبه القدرة على صنع أو ابتكار أدوات جديدة يحتاجها ثم يسميها. ووضع أسماء للأفعال وللأدوات وللأشياء كلها هو ما يعطي الإنسان القدرة على التواصل والتفاهم مع أقرانه أو التعبير عما يريد. كما يمكنه من نقل خبرة جيله إلى الأجيال التالية. أي: يخلف بعضه بعضًا. وذلك بعكس عقل الحيوان الغريزي والفطري والذي قد يكتسب بالتدريب معرفة محدودة ولكنها لا يتم تبادلها بين أفراد مجتمعه

وتتوقف بموت هذا الحيوان؛ أي: لا تنتقل من جيل إلى جيل، ولولا وضع أسماء للأشياء لما كان هناك تبادل للمعرفة، ولما كان هناك تقدم للبشرية على مر العصور[1]. وباختصار فإن القدرة على اشتقاق أسماء للأفعال التي تحدث أمام الإنسان والأشياء التي يبتكرها تتطلب العقل المفكر الذي يحس ويشعر بما يحتاجه وأفراد مجتمعه، ويشعر بمرور الزمن، ويفكر في الموت، ولذلك فهو يحرص على تسمية الأشياء لينقل معرفته التي توصل إليها في حياته إلى الأجيال من بعده، كما أن إحساسه بمرور الزمن والتفكير في الموت يجعله يتدبر ما بعد الموت ودلائل وجود الخالق عز وجل وما يريده منه في هذه الحياة الدنيا ليفوز بالآخرة؛ أي: يفكر فيما هو مكلف به، سواء ما توصل إليه هو باجتهاد عقله أو بتصديق المرسلين.

وأود أن أضيف هنا أنه في إجابة الأمر بسجود الملائكة لآدم: "فسجدوا إلا إبليس" معنى أن الأمر بالسجود كان موجهًا لكل مخلوقات الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، فالأمر بسجود الملائكة لآدم وهم أكرم خلق الله قبل خلق الإنسان معناه أن يسجد كل من هو أقل مرتبة من الملائكة، أو أن يخضع ويذلل من قبل الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان الذي جعله الله سبحانه وتعالى خليفة في الأرض لحكمة يراها سبحانه، وبذلك نفهم أن أجناس الكون كلها من جماد ونبات وحيوان مسخرة لخدمة هذا الخليفة سواء بتذليل

[1] انظر: قصص الأنبياء والتاريخ؛ د. رشدي البدراوي - الجزء الأول - الطبعة الثانية - ٢٠٠٤م - طبع بمطابع الجزيرة إنترناشيونال.

الله سبحانه وتعالى هذه المخلوقات للإنسان أو بقدرة العقل الذي أودعه الله عز وجل في هذا الإنسان[1]. وإذا ربطنا بين الآيات التي تعلل سجود الملائكة لآدم ببعضها البعض فإننا نفهم من آيتي سورتي "الحجر" و"ص" أن سجود الملائكة لآدم لم يأتِ إلا بعد نفخ الروح فيه. ثم نجد أن آيات سورة البقرة تفهمنا أن سبب سجود الملائكة لآدم هو تعليمه الأسماء وجعله خليفة أي: إعطاؤه العقل المفكر (كما أوضحنا)، وبذلك نستنتج أن نفخ الروح في آدم هو الذي أكسبه العقل المفكر. ولا ينبغي لأحد أن يظن أن العقل هو المخ، فالمخ هو جزء مادي في جسد الإنسان يبدأ تكونه في الجنين قبل زيارة المَلَك لنفخ الروح فيه بوقت طويل، بينما العقل كما ذكرنا يكتسب بعد زيارة المَلَك ونفخ الروح في الجنين. فهو مَلَكة لا مادية غيبية، وعلاقة العقل بالمخ هي أن العقل يتخذ من المخ المتطور للإنسان وسيلة لإظهار ما يريده هذا العقل[2]. وفي القرآن الكريم إشارات نفهم منها هذا المعنى، فاشتقاق الأسماء واسترجاعها من الذاكرة وإطلاقها على ما يناسبها هو من استخدامات العقل للمخ، ولكن حتى لا نظن أن العقل هو المخ، أو أن مكانه المخ فقد أشار القرآن الكريم في مرات عديدة إلى أن القلوب تعقل وتحس (تفقه ويطبع عليها وتزيغ وتعمى وتقسو وتغلظ وتغتاظ وترتاب وتأبى وتوجل وتخشع وتطمئن وتطهر)، وذلك لكي نفهم أن العقل والأحاسيس والمشاعر هي مَلَكات لا مادية قد تكون موجودة في كل كيان الإنسان، فكما قد تكون موجودة في المخ فهي قد تكون موجودة في القلب أيضًا.

٣. نفخ الروح في الإنسان هو الذي حمَّله أمانة التكليف:

(أ) تشير سورة الأحزاب إلى هذا المعنى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، وهذه الأمانة هي أمانة التكليف أو هي حرية

---

[1] انظر: أبي آدم - قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة: الدكتور عبد الصبور شاهين - دار أخبار اليوم.

[2] انظر: الروح والنفس والعقل والقرين: أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م.

الاختيار بين البدائل ومحلها العقل. وهذا العقل هو الذي يستطيع أن يميز بين الخير والشر، والحلال والحرام، ويتعرف على الله سبحانه وتعالى وبالتالي فهو يكلف. وختام الآية بجملة «إنه كان ظلومًا جهولا» يشير إلى أن عقل الإنسان هو السبب في حمله الأمانة كما تشير إلى طبيعة عقل الإنسان الذي يحب أن يكون السيد والمالك والمتصرف، ولكنه لا يفكر مليًّا في تبعات هذه السيادة من تفكير في الغد والمرض والموت والحساب في الآخرة. وبما أن عقل الإنسان هو الذي أكسبه السيادة والأفضلية على باقي المخلوقات، وكما قلنا سابقًا إن نفخ الروح في الإنسان هو الذي أكسبه السيادة وسجود وخضوع باقي المخلوقات له فإننا نستدل مرة أخرى على أن نفخ الروح هو الذي أعطاه العقل المفكر.

(ب) رفع التكليف عن الإنسان أثناء النوم الذي تغادر فيه الروح الجسد؛ لأنه أفقده ملكة العقل، وإذا كان التكليف قد رفع عن المجنون الذي به روح فإن عقله لا يعمل؛ لأن أداة إظهاره وهي المخ بها قصور مادي، وأيضًا الصبي قبل البلوغ لم يكتمل مخه نضوجًا ماديًّا فلا يستطيع إظهار مَلَكة العقل.

٤. بلوغ الروح الحلقوم: عند الموت يفقد الإنسان حقه الشرعي والأصيل في قبول التوبة والوصية بما يملك، كما ذكرنا سابقًا في حديثين شريفين في المسألة الرابعة، وهذان الحديثان الشريفان يفيدان أنه بوصول الروح للحلقوم، وبالرغم من أن جسد الإنسان لا تزال توجد به آثار حياة؛ أي: لا زال متيقظًا، ويستطيع أن يفكر ويتذكر ويتكلم ليتوب أو يوصي، فإن الاحترام والتكريم والحق الشرعي الرئيسي يكون بسبب وجود الروح في الجسد والذي يُسلَب منه عند وصول الروح للحلقوم أثناء مغادرتها وحتى قبل تمام مغادرتها للجسد.

وقد فهم علماء المسلمين على مر العصور ان تكريم الإنسان الاساسي والرئيسي هو بسبب وجود الروح، وبالتالي فإن "الوزر الشرعي الرئيسي يكون على إزهاق الروح وليس الجسد". ويظهر هذا في النقاط التالية:

١. حرمة إجهاض الجنين: اتفق علماء المسلمين على حرمة إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه، فهو جناية قتل عمد كاملة موجبة لكل آثارها من القصاص. أما مرحلة ما قبل نفخ الروح فمن الفقهاء من أجاز الإجهاض حينئذٍ إذا دعت إليه حاجة بالرغم من اختلافهم على دواعي الإجهاض، ولعل هذا من رحمة الله بالناس ليظل للأعذار والضرورات الحقيقية موضعها.

أي: أنه بعد نفخ الروح يكون الوزر الشرعي مبنيًّا على قتل نفس بغير نفس ويوجب الدية، بينما يكون رأي من يمنع الإجهاض قبل نفخ الروح هو تحمل الوزر المبني على منع نفخ الروح في هذا الكائن الحي بسر الحياة (سر النطفة الحية)، والبعض يوجب فيه "غرة" (نصف عشر الدية)، أي أن الحرمة تكبر وتعظم وتتضاعف بعد نفخ الروح في الجنين[1]. وبذلك نرى أن هذا اعتراف وبيان من علماء المسلمين بأن الجنين قبل نفخ الروح وإن كان حيًّا ولكنه دون الحياة الإنسانية المعروفة.

[1] انظر: من هدى الإسلام فتاوى معاصرة: الدكتور يوسف القرضاوي - دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت - الطبعة الحادية عشرة - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

وأود في هذا السياق أن أذكر إجابات لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي[1] على أسئلة تتعلق بموضوع الإجهاض، فقد سُئل:

أولا: ما حكم الإسلام في الإجهاض؟ فأجاب: لا يمكن أن يُباح إلا بأمر يتعلق بصحة الأم، وبشرط أن يكون قبل مائة وعشرين يومًا قبل أن تدب الروح في الجنين، ثم سُئل:

ثانيا: ألا يعتبر الإجهاض قبل مائة وعشرين يومًا من الحمل اعتداءً على الجنين؟ فأجاب: إن الإنسان الذي يعتدي عليه هل هو الإنسان بالقوة أم الإنسان بالفعل؟ الإنسان بالقوة الذي إن تُرك لحاله صار إنسانًا، والإنسان بالفعل هو الذي أصبح إنسانًا بالفعل، ولا يتم ذلك إلا بعد مائة وعشرين يومًا، وقبل ذلك يكون قابلا لأن يكون إنسانًا، واستشهد الشيخ الجليل بنواة البلح، فقال: نواة النخلة أنا أقول عليها نخلة بالقوة، أي أنني إذا وضعتها في الأرض، وأعطيتها اللازم تصبح نخلة، إنما هل هي نخلة بالفعل؟ لا، ثم سئل:

ثالثًا: وأليس القضاء على الحياة نفسها حرامًا؟ فأجاب: عندما تكسر نواة البلح هل تكون قد اعتديت على نخلة؟

٢. الصلاة على السقط: يقول صاحب فقه السنة: السقط إذا لم يأتِ عليه أربعة أشهر فإنه لا يُغَسَّل ولا يصلى عليه، ويلف في خرقة ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء، فإن أتى عليه أربعة أشهر فصاعدًا:

- فإذا استهل: غُسِّل وصُلِّي عليه باتفاق (والاستهلال حدوث حركة أو صياح أو عطاس يعلم به حياة الطفل).

[1] انظر: الفتاوى لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: أعده وعلق عليه وقدم له الدكتور السيد الجميلي - المكتبة التوفيقية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

- وإذا لم يستهل: فالبعض ذهب إلى أنه يُغَسَّل ويصلى عليه، والبعض الآخر قال: لا يصلى عليه[١،٢].

وأنا أضيف هنا أن علماء المسلمين الذين فرقوا هنا بين إذا استهل، وإذا لم يستهل فيبدو أنهم اعتقدوا أن الاستهلال هو علامة نفخ الروح؛ أي: اعتقدوا أنه يستهل بعد نفخها، بينما قبل نفخها لا يستهل وينزل ميتًا، وأنا أقول: إن الجنين قد يجهض ويخرج من الرحم قبل نفخ الروح فيه حيًّا أو ميتًا، فالإجهاض طبيًّا قبل مرحلة نفخ الروح يحدث لسببين، أولهما: أن يموت الجنين داخل الرحم لإصابة مرضية لحقت به، ثم يجهض ميتًا؛ أي: لا يستهل بعد خروجه من الرحم، وثاني أسباب الإجهاض في هذه المرحلة العمرية: هو أن تحدث الإصابة المرضية في الرحم الذي يحمل الجنين ويحافظ على وجوده داخله فلا يستطيع المحافظة على الجنين الحي بسر الحياة داخله حتى اكتمال نموه فيخرج السقط من الرحم سليمًا، وقد نلمح فيه الاستهلال قبل أن يموت؛ لأن وظائف الأعضاء فيه لم تكتمل بعد للحياة خارج الرحم.

وبذلك نلاحظ أن علماء المسلمين أعطوا للسقط بعد أربعة أشهر - أي: بعد مرحلة نفخ الروح (وليس قبلها) - نفس الحق الشرعي للإنسان بعد موته في تغسيله والصلاة عليه، برغم أنه كان قبل نفخ الروح كائنًا ذا جسد حي.

٣. إخراج زكاة الفطر عن الجنين: برغم أن جمهور الفقهاء على أن زكاة الفطر لا تجب على الجنين فإن ابن حزم قد أوجب إخراج زكاة الفطر عن الجنين إذا أكمل مائة وعشرين يومًا، وذكر في ذلك بعض آثار، أما الحنابلة فيرون ذلك مستحبًّا لا واجبًا. [٢]

---

[١] انظر: فقه السنة: السيد سابق - دار الفتح للإعلام العربي - الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

[٢] انظر: تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة: كتاب العبادات - كتبه أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي - قدم لبعض أجزائه الشيخ أبو إسحاق الحويني ، والشيخ محمد صفوت نور الدين - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

وبذلك نفهم أن ابن حزم اعتبر الجنين بعد نفخ الروح فيه شخصًا من الناس[1].

وأود أن أضيف هنا عدة تساؤلات، والتي قد تبدو للقارئ غريبة بعض الشيء، ولكني وجدتها لازمة لتوضيح حقيقة أن تكريم الإنسان الرئيسي هو بسبب وجود الروح فيه وليس بسبب وجود سر الحياة في جسده:

١. هل إزهاق سر الحياة الممثل في الحيوانات المنوية عليه وزر شرعي؟ فقد ذكرنا سابقًا أنه إذا فحصنا قطرة من السائل المنوي تحت المجهر فإننا نرى الحيوانات المنوية تتحرك بطلاقة، وإذا وضعنا عائقًا أمامها فإنها تتجنبه، وإذا أردنا التقاط الحيوان المنوي (لتلقيح البويضة في عملية طفل الأنابيب) فإنه يهرب ويطفو أو يغطس داخل قطرة السائل المنوي وأيضًا إذا التقطنا حيوانًا منويًا ميتًا، ثم حقنّاه داخل البويضة فإنه لا يتم تلقيحها، وبالمثل فإن حقن حيوان منوي حي داخل بويضة متفتتة يؤدي إلى فشل التلقيح، إذن نحن نتعامل منذ البداية مع كائنات حية. ونعود إلى إجابة السؤال فنقول: إنه إذا كان هناك وزر شرعي على إزهاق سر الحياة الموجود في الحيوان المنوي، والذي هو الأصل في سر حياة الجنين لكان هناك وزر شرعي على إتيان الرجل زوجته في غير أيام خصوبة زوجته، وهي أيام التبويض، وهي أيام قليلة للغاية كل شهر.

بالمقابل هل هناك وزر شرعي على إزهاق سر الحياة الموجود في البويضة التي تشترك مع الحيوان المنوي في إعطاء سر حياة جسد الجنين؟ إذا كان كذلك لكان هناك إثم على الرجل وزوجته إذا لم يحاولا إخصاب البويضة بالجماع في فترة الخصوبة الشهرية، كما

[1] انظر: المحلى لابن حزم: تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

يكون هناك وزر على الفتاة وأهلها إذا لم يزوجوها مباشرة بعد البلوغ وذلك لتركهم البويضات التي تنتج شهريًّا تموت بدون محاولة إخصاب.

٢. أثناء إجراء عملية طفل الأنابيب يتم تلقيح عدد كبير من البويضات فينتج عدد كبير من الأجنَّة الحية في طور خلية مخصبة تنقسم إلى اثنتين، ثم أربع، ثم ثماني خلايا وهكذا، ولكن يتم نقل عدد محدود من هذه الأجنة (اثنين أو ثلاثة أجنة فقط) إلى داخل الرحم لتعلق بجداره وتنمو، أما بقية الأجنة فهي تترك، وبالطبع فهي تموت خلال فترة معينة إذا لم تنقل داخل الرحم، فهل هذا يكون حرامًا؟ وزرًا شرعيًّا أو يستوجب حتى غرة أو كفارة؟

٣. لماذا لم يوجب الشرع دية أو حتى غرة للقتل الخطأ لأي كائن حي غير الإنسان؟ ونقول: إن وجود الروح في جسد الإنسان هو الذي كرَّمه على الكائنات الحية الأخرى فاستحق دية القتل الخطأ، ولماذا رخص الله سبحانه وتعالى لنا التداوي باستعمال أدوية تقتل الميكروبات وهي من مخلوقات الله عز وجل وبها سر حياة؟ وأيضًا لماذا رخص لنا الحديث الشريف قتل الفواسق الخمس وهي أيضًا مخلوقات لله سبحانه وتعالى؟ ونجيب فنقول: إن وجود الروح في جسد الإنسان كرمه وقدمه على أجساد المخلوقات الأخرى التي قد تؤذي جسده وبالتالي قد تؤدي إلى مغادرة روحه لجسده.

وفي النهاية نلخص ما قلناه في هذه المسألة السادسة في أننا نرى أنه بالرغم من أن الله سبحانه وتعالى برحمته التي وسعت كل شيء قد كرم وكره إيذاء أي من مخلوقاته فإن:

١. نفخ الروح في جسد الإنسان هو الذي أكسبه غاية التكريم، وذلك واضح في إضافة الروح إلى ذات الله سبحانه وتعالى، وفي الأمر بسجود (وخضوع وتذليل) الكون كله وعلى رأسه الملائكة للإنسان.

٢. نفخ الروح في الإنسان هو الذي أعطاه أمانة القيام بالتكاليف الشرعية وتحملها.

٣. مغادرة الروح للجسد أثناء النوم يسقط التكليف عن الإنسان.

٤. مغادرة الروح لمستقرها في الجسد ووصولها للحلقوم يسلب الإنسان حقه الشرعي في التوبة وفي الوصية بما يملك.

٥. وجود الروح في جسد الإنسان أوجب دية القتل الخطأ للإنسان وليس لأي كائن حي آخر.

٦. فهم علماء المسلمين على مر العصور هذا المعنى، فجعلوا للجنين بعد نفخ الروح فيه:

(أ) دية القتل على من تسبب في إجهاضه وموته.

(ب) التغسيل والصلاة عليه ودفنه بعد إجهاضه.

(ج) بعض العلماء أوجب أو استحب إخراج زكاة الفطر عنه وهو ما زال جنينًا في بطن أمه.

وبذلك نستطيع أن نستنتج من كل هذه الأدلة أن التكريم الأساسي للإنسان هو بسبب وجود الروح فيه، والتكاليف الشرعية أيضًا هي بسبب وجود الروح فيه، وبالتالي يكون الوزر الشرعي الأساسي والرئيسي مترتبًا على إزهاق هذه الروح وليس إزهاق سر حياة الجسد المشترك بين جميع الكائنات الحية.

المسألة السادسة

ما هو الفرق بين الوفاة والموت؟

لنفهم معنى كلمتي الوفاة والموت من القرآن الكريم يجب أن نتأمل في كل آيات القرآن الكريم التي جاءت فيها كلمتا الوفاة والموت باشتقاقاتهما المختلفة من المصدر والفعل واسم الفاعل. وبالتأمل في هذه الآيات نجد أن هناك الكثير من آيات القرآن الكريم التي نستدل منها على أن للوفاة معنى غير معنى الموت. وأن الوفاة هى مغادرة الروح للجسد (أو قبض الروح) وليس هلاك الجسد. بينما الموت هو المرحلة الأخيرة التي تلي قبض الروح والتي تتوقف فيها خلايا الجسد عن العمل أو عن وظيفتها في الحياة توقفًا نهائيًّا. ومن ثم ينفرط عقدها إلى مكوناتها الأولى من تراب وماء. ولا يكون بعده عودة للجسد إلا بالبعث أو النشور. وبمراجعة هذه الآيات في مواقف استعمال كلمتي الوفاة والموت والأدلة التي تقدمها نستطيع أن نتوصل إلى خمس حقائق توضح الفرق في المعنى بين الكلمتين.

الحقيقة الأولى: آيات توضح أن معنى كلمة الوفاة أو التوفي هو قبض الروح.

الحقيقة الثانية: آيات توضح أن الوفاة أو التوفي ليس هو هلاك أو إهلاك الجسد.

الحقيقة الثالثة: آيات توضح أن الوفاة والموت شيئان مختلفان. وبما أن آيات القرآن الكريم التي ذكرناها في الحقيقة الأولى تثبت أن الوفاة هي قبض الروح. فبالتالي يكون الموت شيئًا مختلفًا عن قبض الروح أو ليس مجرد قبض الروح.

الحقيقة الرابعة: آية توضح أن الموت يتكون من مرحلتين هما قبض الروح ثم الموت الجسدي.

الحقيقة الخامسة: آيات توضح أن الموت (وليس الوفاة) هو المرحلة الأخيرة للإنسان في هذه الحياة الدنيا. والتي لا يكون بعدها عودة إلا بالبعث أو النشور.

الحقيقة الأولى: آيات توضح أن معنى كلمة الوفاة أو التوفي هو قبض الروح.

وذلك يتبين من ثلاثة أدلة:

أولها: جاء ذكر الموت في آيات القرآن الكريم منسوبًا للجماد والكائنات الحية غير الإنسان بالإضافة إلى الإنسان. أما ذكر الوفاة فلم يأتِ إلا منسوبًا للإنسان فقط. وبما أن الإنسان يتميز عن باقي المخلوقات في الكون بوجود الروح فيه. فإن هذا يدل على أن الوفاة مرتبطة بوجود الروح. فهي قبض الروح. بينما الموت هو توقف سر الحياة الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في جميع المخلوقات عند خلقها الأول.

أ] أمثلة من آيات القرآن الكريم التي تنسب الموت للجماد:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣)

ب] أمثلة من آيات القرآن الكريم التي تنسب الموت للكائنات الحية غير الإنسان:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣)

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٣٩)

ج] أمثلة من آيات القرآن الكريم التي تنسب الموت للإنسان:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٤)

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)

د] كل آيات القرآن الكريم المذكور فيها التوفي منسوبا لأحد، وكلها منسوبة للإنسان:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠)

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥)

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٣)

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٥)

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: ٩٧).

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٧).

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٣٧)

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦).

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠).

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس: ٤٦).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٤).

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

﴿وَإِن مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٨).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠).

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (الحج: ٥).

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: ٦٧).

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٧).

ثانيها: الإماتة: إذا ذكر فعل الإماتة في القرآن الكريم منسوبًا لله سبحانه وتعالى فهو «توفي» أو «إماتة». بينما إذا ذكر منسوبًا للملائكة فهو «توفي» فقط. والمعلوم أن الملائكة هي التي تقبض الروح (أي: هي مسئولة عن نفخ الروح وقبضها بأمر من الله سبحانه وتعالى). بينما الله سبحانه وتعالى يتوفى الإنسان بأوامره إلى الملائكة. ويميت الإنسان بتوفيه وبإبطال سر الحياة في خلاياه وأعضاء جسده. والذي كان قد أودعه في صُلب آدم وحواء. وينتقل إلى الأجيال التالية محمولا في نطفة الرجل ونطفة المرأة الحيتين.

أ] أمثلة من آيات القرآن الكريم التي تنسب التوفي لله سبحانه وتعالى:

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٧).

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس: ٤٦).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠).

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

ب] أمثلة من آيات القرآن الكريم التي تنسب الإماتة لله سبحانه وتعالى:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر: ١١).

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الجاثية: ٢٦).

د] كل آيات القرآن الكريم التي تنسب فعل الوفاة [التوفي] للملائكة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: ٩٧).

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (الأنعام: ٦١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٣٧).

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٨).

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٧).

ثالثا: انظر إلى آية سورة الزمر ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢) ومعلوم عند جمهور المفسرين أن الأنفس هنا معناها الأرواح. وبذلك فهذه الآية شديدة الوضوح في أن التوفي هو مغادرة الروح للجسد. وليس الموت هو مغادرة الروح للجسد. فعند النوم تغادر الروح الجسد مغادرة مؤقتة. ثم ترجع إليه: لأنه لم يحن أجل موت الجسد بعد ولكن عند الموت فإن الله سبحانه وتعالى يمسك الروح ولا يُرجعها إلى الجسد الذي حان أجل موته وانفراط عقد خلايا جسده إلى مصادرها الأولية.

الحقيقة الثانية: آيات توضح أن الوفاة أو التوفي ليس هلاك أو إهلاك الجسد:

أولا: الروح تقبض أثناء النوم ولا يحدث هلاك للجسد. وهذا المعنى نجده في هاتين الآيتين:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (الأنعام: ٦٠).

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

ثانيًا: هذا المعنى قد نفهمه من الآيتين اللتين ذكر فيهما علاقة عيسى عليه السلام بالتوفي والموت:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران: ٥٥).

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩).

ونحن نجد هنا أن آية سورة آل عمران جاءت بكلمة التوفي والتي لا تعني الموت الجسدي الفعلي، ولذلك فهي تناسب رفعه إلى الله سبحانه وتعالى. بينما جاءت سورة النساء بكلمة الموت التي تعني الموت الجسدي، وذلك حين رجوعه في آخر الزمان قبل قيام الساعة ليقتل المسيخ الدجال.

الحقيقة الثالثة: آيات توضح أن الوفاة والموت شيئان مختلفان. وبما أن آيات القرآن الكريم (كما ذكرنا في الحقيقة الأولى) تثبت أن الوفاة هي قبض الروح. فبالتالي يكون الموت شيئًا مختلفًا عن قبض الروح أو هو ليس مجرد قبض الروح. ونستدل على هذا المعنى من آيات القرآن الكريم من النقاط التالية:

أولا: آيات القرآن الكريم التي تم ذكر أمثلة كثيرة لها سابقًا في المسألة الثانية، والتي قابلت الموت بالحياة في أكثر من ستين موضعًا، ولم تقابل الوفاة بالحياة ولو مرة واحدة تدل على أن معنى الموت يختلف عن معنى الوفاة. وبما أن آيات القرآن الكريم أثبتت - كما قلنا -

أن الوفاة هي قبض الروح فبالتالي الموت ليس هو قبض الروح أو ليس مجرد قبض الروح.

ونفصل فنقول: إن الجنين به حياة ثم نفخ روح. إذن فالمقابل للوفاة (قبض الروح) هو نفخ الروح. كما أن المقابل للموت هو الحياة كما جاء في كل الآيات. وبالمفهوم الأشمل كما قلنا سابقًا فالحياة تتكون من مرحلتين هما سر الحياة ثم نفخ الروح. فبالتالي يتكون الموت من مرحلتين هما قبض الروح (الوفاة). ثم توقف سر الحياة (الموت الجسدي). وبذلك فإن الموت هو نقيض الحياة في الحالتين. بينما لا يصح أن تقابل الوفاة إلا بنفخ الروح وليس بالحياة.

ثانيا: عند مخاطبتنا لله سبحانه وتعالى لإرادة الموت نقول: «توفني» أو «توفنا» ولم يرد في القرآن لفظ «أمتني» أو «أمتنا» بفعل الأمر. فلماذا؟ ونجيب فنقول: لأن معنى التوفي غير معنى الإماتة. ونفصل ذلك فنقول: إنه يجب أن يتوفر الأدب واللياقة في مخاطبة الله سبحانه وتعالى. ولا ننسب الشيء (العمل أو النعت) الذي تعافه أو تكرهه أو تخافه النفس مباشرة وخاصة بضمير المخاطب لله سبحانه وتعالى. ومن أمثلة ذلك ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ **(الفاتحة: ٧)** ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(الشعراء: ٨٠). و﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن: ١٠). وغيرها أمثلة كثيرة.

فإذا نظرنا إلى معنى التوفي والإماتة فإن التوفي هو مغادرة الروح للجسد وتحررها من سجنه بل وذهابها لنعيم الله سبحانه وتعالى خاصة إذا كان المتكلم رسولا أو مؤمنًا أو صالحًا. وعلى الوجه الآخر فإن الإماتة تعني هلاك الجسد وانفراط عقده إلى مصادره الأولى كالتراب. ولذلك فالأكثر لياقة هو مخاطبة الله سبحانه وتعالى بلفظ «توفني» أو

«توفنا». وليس بلفظ: «أمتني» أو «أمتنا» (برغم أن معنى الوفاة هو مغادرة الروح للجسد والذي يعقبه أن يهلك الجسد ويبلى).

كل آيات القرآن الكريم التي ورد فيها مخاطبة الله سبحانه وتعالى بلفظ «توفني» أو «توفنا»:

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ **(آل عمران: ١٩٣).**

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ **(المائدة: ١١٧)**

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ **(الأعراف: ١٢٦).**

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ **(يوسف: ١٠١).**

وقد اتفق الحديث الشريف الصحيح مع القرآن الكريم في مخاطبة الله سبحانه وتعالى بلفظ «توفني» وليس بلفظ «أمتني».

(أ) روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بُدَّ فاعلا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»[1].

(ب) روى الترمذي أنه مما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في دعائه: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قومي فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك»[2].

والآية الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء فيها لفظ الإماتة منسوبًا بضمير المخاطب لله سبحانه وتعالى هي ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (غافر: ١١).

ويلاحظ في هذه الآية ثلاث ملاحظات:

الملاحظة الأولى: هذه الآية وردت على لسان الكفار، وسوء الأدب وارد في كلام الكفار.

الملاحظة الثانية: جاء لفظ الإماتة في زمن الفعل الماضي، فكأن الكفار وهم موجودون في النار، وهو زمن قولتهم هذه - يقولون لله سبحانه وتعالى: لقد مرت بنا الموتتان اللتان ذكرتهما لكل بني آدم في سورة البقرة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨). أفلا تكفي هاتان الموتتان لخروجنا من النار ولا نموت فيها ونحيا مرات عديدة أخرى؟

[1] الحديث: أخرجه البخاري (٥٦٧١) كتاب المرضى/ باب: تمني المريض للموت (طرفاه في ٦٢٣٣، ٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: كراهة تمني الموت لضر نزل به، وأبو داود (٣١٠٨)، والترمذي (٩٧١)، والنسائي (١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١).

[2] الحديث: رواه الترمذي (٣٢٣٣) كتاب تفسير القرآن/ باب: ومن سورة ص.

الملاحظة الثالثة: لا يصح لغويًا أن تكون الجملة: «توفيتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»؛ لأن التوفي ليس هو مقابل الإحياء، وإنما التوفي يقابله نفخ الروح، بينما الإماتة يقابلها الإحياء.

ثالثا: انظر إلى مخاطبة الله سبحانه وتعالى لعيسى عليه السلام في هذه الآية ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥).

فالخطاب لعيسى عليه السلام في موقف الإماتة يلزمه تلطف وتهدئة له، ويلاحظ هذا من الآتي:

١. الخطاب لعيسى جاء بالاسم المجرد «عيسى» بدلا من «عيسى بن مريم» كما ورد في الآيات الأخرى في القرآن الكريم، وإذا جاء الخطاب بالاسم المجرد من الأعلى مرتبة إلى الأدنى مرتبة فهذا خطاب فيه تبسُّط وتودد وتهدئة.

٢. «متوفيك بدلا من مميتك»؛ لأن التوفي كما قلنا أخف وطأة على النفس من الإماتة؛ لأن التوفي يعني مغادرة الروح، بينما «مميتك» قد تلقي الروع في النفس كأنه يقول جاعل جسدك يهلك.

٣. "ورافعك إلي" تأكيد لعيسى عليه السلام أن "توفيك" أو "وفاتك" يصاحبها وليس يعقبها (وهذا نفهمه من الواو) رفعك إلى حيث النعيم.

رابعا: خاطب الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ التوفي "نتوفينك"، ولم يخاطبه بلفظ الإماتة "نميتك".

وهذا المعنى يفيد التلطف في الخطاب بصعود الروح لمقابلة الله سبحانه وتعالى مثلما ذكرنا في الخطاب لعيسى عليه السلام.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس: ٤٦)

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: ٤٠)

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧)

والاستثناء الوحيد الذي جاء في مخاطبة الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بلفظ الإماتة ورد في هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ **(الزمر: ٣٠-٣١).**

ويمكن تفسير ذلك بالآتي:

1. **جاء القرآن الكريم هنا بلفظ الموت وليس الوفاة ليقرر أن الموت حق على كل البشر. فلا يصح القول: «إنك متوفى وهم ميتون» تصديقًا لقوله سبحانه وتعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ **(الأنبياء: ٣٤).**
2. **جاء لفظ الموت هنا لأن القرآن الكريم تكلم بعدها في الآية التالية عن يوم القيامة وعن الاختصام يوم القيامة تماشيًا مع جميع آيات القرآن الكريم التي إذا ذكرت أحداث ما بعد الحياة الدنيا فإنها تذكرها بعد لفظ الموت وليس الوفاة (كما سنذكر لاحقًا).**

الحقيقة الرابعة: **آية توضح أن الموت يتكون من مرحلتين هما قبض الروح ثم الموت**

الجسدي، وهذه الآية هي آية سورة الزمر ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

ومعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى يقبض الأرواح حين النوم وحين الموت، ولكن الفارق بين الحالتين هو أنه لم يحن الأجل للإنسان النائم وبذلك تُرجَع إليه الروح، بينما عند الموت فإن الله سبحانه وتعالى يمسك الروح ولا يرجعها إلى الجسد الذي حان أجل موته فيحدث الموت الجسدي أو يتوقف سر الحياة، وبذلك نفهم أن النوم يمر بمرحلة واحدة من مراحل الموت وهي قبض الروح، بينما يمر الموت بمرحلتين أولاهما: قبض الروح، وثانيهما: الموت الجسدي أو توقف سر الحياة في الجسد.

الحقيقة الخامسة: آيات توضح أن الموت - وليس الوفاة - هو المرحلة الأخيرة للإنسان في هذه الحياة الدنيا، والتي لا يكون بعدها عودة للجسد إلا بالبعث أو النشور:

أولا: كل آيات القرآن الكريم التي يذكر فيها أحداث ما بعد الحياة الدنيا تجيء بعد لفظ «الموت» وليس لفظ «الوفاة».

الأمثلة من آيات القرآن الكريم:

القبر: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: ٢١)

الخروج: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف: ٢٥).

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم: ٦٦).

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٥).

الحشر: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٨).

يوم القيامة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩).

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ٢٦).

البعث: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٣٦).

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:١٥).

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات: ١٦).

النشور: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٥).

الحساب يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ

الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٩١).

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: ٣٤).

عذاب جهنم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان: ٥٦).

ملاحظة[١]: الاستثناء الوحيد في آيات القرآن الكريم التي جاء فيها لفظ من ألفاظ أحداث ما بعد الحياة الدنيا التي تم ذكرها (وهو البعث) بعد التوفي وليس الإماتة جاء في هذه الآية:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ **(الأنعام: ٦٠). وتفسير ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقصد بالتوفي في هذه الآية هو وقت النوم وليس وقت الموت. ولذلك فهو سبحانه وتعالى يشبه اليقظة والحركة والنشاط أثناء النهار بالبعث. وذلك لنفهم من هذه الآية أن النوم هو شقيق الموت فما يحدث أثناء النوم بمغادرة الروح للجسد. ثم اليقظة بعد النوم هو شبيه بما يحدث عند الموت ثم البعث.**

ملاحظة [٢]: الحدث الوحيد من أحداث ما بعد الحياة الدنيا الذي يتساوى ذكره في القرآن الكريم بعد الوفاة وبعد الموت هو «الرجوع» (مثل: إليه يرجعون- رجع بعيد - إلينا مرجعهم ....) وتفسير ذلك أن الروح بعد قبضها (أي التوفي) ترجع إلى الملأ الأعلى. كما أنه بعد الموت بمعناه الشامل لهلاك الجسد يحدث رجوع بعد البعث والنشور.

أ] أمثلة من آيات الرجوع بعد كلمة الموت:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٣٦)

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس: ٥٦)

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق:٣)

ب] كل آيات القرآن الكريم التي جاء فيها الرجوع بعد كلمة الوفاة، وهي أربع آيات فقط:

١. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: ٥٥)

٢. ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

ويلاحظ في هاتين الآيتين أن لفظ «الرجوع» يفصله عن لفظ «التوفي» حرف العطف. «ثم» الذي يفيد التعقيب والتراخي: لأنه إذا كانت الأرواح المؤمنة ترجع مباشرة بعد التوفي إلى الملأ الأعلى فإن الأرواح الكافرة تغلق أمامها أبواب السماء الدنيا حتى يحين البعث (قارن ذلك مع الآيات التي جاء فيها الرجوع بعد كلمة الموت فلم يفصل بين

الكلمتين حرف عطف أو فصلت الكلمتان بالواو أو بـ ثم).

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس: ٤٦).

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧).

ونلاحظ في هاتين الآيتين أنه لم يفصل بين كلمتي التوفي والرجوع بحرف العطف «ثم». وذلك لأن ضمير المخاطب المقصود بالتوفي هو الرسول عليه الصلاة والسلام. بينما ضمير الغائب المقصود به الرجوع يعود على الأشخاص الذين يدعوهم الرسول عليه الصلاة والسلام للإيمان.

ثانيا: انظر إلى الآيتين اللتين ذكر فيهما علاقة "عيسى" عليه السلام بالتوفي وبالموت:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: ٥٥).

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩).

ونلاحظ في هاتين الآيتين الترتيب الزمني، التوفي أولا ثم الموت بعد رجوعه في آخر الزمان قبل قيام الساعة ليقتل المسيخ الدجال.

وفي نهاية هذه المسألة تجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من العلماء اتفقوا على إطلاق تعبير «الموت الأصغر» أو «الموتى الصغرى» على النوم. ولكني أرى أن الأكثر صوابًا هو تسمية النوم «بالوفاة الصغرى»؛ لأنه كما أوضحنا فإن الوفاة هي مغادرة الروح للجسد وهو ما يحدث فعلًا أثناء النوم. وبذلك تكون مغادرة الروح للجسد مغادرة مؤقتة أثناء النوم هي «وفاة النوم». وتكون مغادرة الروح النهائية والمستديمة للجسد عند الموت هي «وفاة الموت».

المسألة السابعة

هل نستطيع من منظور ديني تشخيص الموت ورفع أجهزة التنفس الصناعي إذا استطاع الطب أن يجزم بموت المخ، بينما القلب ما زال ينبض معتمدا على أجهزة صناعية؟

يلزم لتشخيص الموت:

١. التأكد من موت الجسد النهائي، وذلك وظيفة الطب.

٢. التأكد من مغادرة الروح للجسد من الأدلة المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أولا: تشخيص موت المخ طبيا:

إن الموت بمعنى توقُّف سر الحياة أو توقف قدرة الخلية على الحفاظ على نوعها (أي توقف وصول غذاء ووقود وأوامر لازمة لعمل الخلية أو توقف العمليات الكيميائية داخل الخلية) هو شيء مادي يستطيع العقل والعلم الحديث البحث فيه وإدراكه. وبالتالي فقد استطاع الطب الحديث التوصل إلى حقيقتين هامتين:

١. إمكانية التشخيص المؤكد للموت الكلي للمخ (الذي كانت خلاياه حية بسر الحياة أو بسر حياة النطفة الأولى).

٢. الجزم بأن توقف المخ الكلي عن العمل (أو موته) هو توقف نهائي لا رجعي وليس غيبوبة مؤقتة قد يفيق منها المخ.

وسوف نذكر في نهاية هذه المسألة نبذة قصيرة نلخِّص فيها وسائل تشخيص موت المخ طبيًّا.

وكما قلنا سابقًا في المقدمة الطبية فإن جذع المخ هو الذي يتحكم في وظيفة القلب والتنفس. وبالتالي فإن موت جذع المخ يليه مباشرة توقف القلب والتنفس إلا إذا أسرعنا باستعمال أجهزة طبية خاصة كبديل لجذع المخ. ولكن إذا توقفت هذه الأجهزة الطبية المساعدة توقف القلب وباقي أعضاء الجسم الأخرى عن العمل وعن الحياة. ولذلك فإن الطب الآن يعتبر أن موت المخ هو موت للجسد أو هو موت الكائن الإنساني[1].

ثانيا: التعرف على مغادرة الروح للجسد:

كما ذكرنا فإن علم الطب الذي يتعامل مع الماديات لا يستطيع إدراك مغادرة الروح للجسد عند الوفاة. ولكن معرفتنا عن الروح يجب أن نستقيها من القرآن الكريم والوحي الإلهي لرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: ترتيب مغادرة الروح وسر الحياة للجسد عند الموت وما يبنى على ذلك:

توصلنا سابقًا من خلال هذا البحث إلى أنه عند الموت:

١. تغادر الروح كل الجسد بما فيه المخ قبل مغادرة سر الحياة للجسد.
٢. تغادر الروح القلب قبل مغادرتها للمخ.
٣. تغادر الروح الجسد في اتجاه تصاعدي: أي: تعلو من أسفل لأعلى.

وبالتالي إذا استطاع الطب إثبات موت المخ المادي (مغادرة سر الحياة للمخ)، فقد سبقه مغادرة الروح للمخ. والذي سبقه أيضًا مغادرة الروح لبدن الإنسان كله من أسفل إلى أعلى مارًّا بالقلب. وبذلك يكون عمل القلب بعد موت جذع المخ معتمدًا على أدوية وأجهزة طبية خاصة هو حياة بدون روح. وبذلك يمكننا اعتبار أن موت المخ هو علامة جسدية لمغادرة الروح لجسم الإنسان.

[1] **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

رابعا: حقيقة الحياة بعد موت المخ:

إن حياة القلب وبعض أنسجة الجسم - منفردة - بعد موت المخ معتمدة على أجهزة طبية خاصة هي حياة بدون روح.

(أ) وهذه الحياة تشبه إلى حد كبير حياة الجنين داخل الرحم قبل نفخ الروح فيه. ولكنها في الحقيقة أقل درجة من حياة الجنبن داخل الرحم قبل نفخ الروح فيه.

وذلك:

١. لأن حياة أعضاء الجنين تعتمد على أوامر تأتيه من جسم الأم الحي وليس من أدوية وأجهزة صناعية. فكأن هذه الحياة حياة صناعية وليست حياة حقيقة.

٢. كل أنسجة وأعضاء الجنين بما فيها المخ فيها حياة. وليس كالإنسان الميت مخيًّا الذي توقفت فيه وظيفة المخ.

٣. لأن حياة الجنين يمكن أن تتطور للحياة الإنسانية الكاملة بعد نفخ الروح فيه. بينما توقُّف المخ التام عن العمل هو توقف نهائي لا رجعي. ولا يمكن للحياة ولا للروح أن تعود إليه مرة أخرى. ويؤكد ذلك النقاط التالية:

- تحدي الله سبحانه وتعالى في سورة الواقعة لأي شخص أن يستطيع إرجاع الروح إلى مستقرها في الجسد إذا بلغت الحلقوم. أي: قبل تمام مغادرتها للجسد. وهي ما زالت في حماه. فما بالنا إذا غادرت تمام الجسد.
- يثبت القرآن الكريم أن هناك قانونًا للحياة الدنيا لا يمكن خرقه في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ(٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ

صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٠٠)﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠). أي: أن الروح إذا خرجت من الجسد عند الموت فقد أصبحت في الحياة البرزخية التي لا تستطيع الرجوع منها إلى الجسد في الحياة الدنيا. كما لا يستطيع الجسد الذي مات (بتعريف الطب) أن يرجع إلى الحياة مرة أخرى.

- بعدما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جابر: "ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب. وكلم أباك كفاحًا. فقال: يا عبدي تمنَّ عليّ أعطك. قال: رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق مني إنهم إليها لا يرجعون»[1]. ويفيد الحديث الشريف استحالة رجوع روح الشهيد لجسده في الحياة الدنيا واستحالة رجوع الجسد للحياة في هذه الحياة الدنيا. وذلك حسب قانون السنن الكونية التي وضعها الله سبحانه وتعالى ولا يمكن خرقها.

(ب) ويطلق الطب الحديث على بعض الحالات الأقل حدة من موت المخ الكلي تعبير «الحياة النباتية أو النمائية» (Vegetative Life). ولكن الصحيح أن الحياة الصناعية بعد موت المخ أقل درجة أيضًا من حياة النبات التي تعتمد حياة أعضائه المختلفة بعضها على بعض: أي: أن النبات كائن حي يقوم بذاته بينما هذه الحياة لا تقوم بذاتها. ولا يكمل بعضها بعضًا. وإنما هي خلايا وأعضاء منفردة تقوم بعملها معتمدة على أوامر تأتيها من عقاقير وأجهزة طبية.

---

[1] الحديث: أخرجه الترمذي (٣٠١٣). وصححه الحاكم (٢٠٤/٣). ووافقه الذهبي (كفاحًا: وجهًا لوجه).

(ج) وأخيرًا: فهذه الحياة أقل كثيرًا من الحياة الحيوانية. والتي تتميز عن حياة النبات بوجود المخ الذي يستطيع أن يميّز الأشياء ويفسرها. وينتج عنها رد فعل لأي مؤثر خارجي.

ويمكن إعطاء مثال مشابه لهذه الحياة الخلوية الصناعية. فهي تشبه عمل أجزاء الأجهزة الصناعية المفكّكة والتي لا تستطيع أن تعمل لمصلحة الجهاز الكلي كوحدة متكاملة بسبب فقد الترابط بين هذه الأجزاء. والرابط بين هذه الأجزاء في الإنسان هو الجهاز العصبي.

خامسا: الاستنتاج:

(أ) ذكرنا أن الطب يستطيع أن يجزم بموت المخ موتًا نهائيًّا لا رجعيًّا. وبالتالي عدم قدرة هذا الجسد للعودة للحياة كإنسان متكامل بدون الاعتماد الكلي على أجهزة خارجية.

(ب) وفي هذه الحالة قد أثبتنا أن الروح قد غادرت كل الجسد مغادرة نهائية لا رجعية: أي أنه إذا استطاع الطب أن يجزم بموت المخ الكلي. فقد غادر مكوّنا الحياة الاثنان جسد الإنسان. أي «غادر الروح الجسد وغادر سر الحياة». أي: أن هذا الإنسان الميت مخيًّا هو إنسان «متوفى» (بالمفهوم الديني للموت وهو مغادرة الروح). كما أنه «ميت جسديًّا» كإنسان أو ككائن حي (بالمفهوم الطبي للموت كما ذكرنا سابقًا). وذلك لموت المخ أو توقف الدائرة الكهربائية الموصلة بين أعضاء الجسم المختلفة. والمتبقي هو «حياة خلوية صناعية». وليست حياة إنسانية. تستمد وقودها وأوامرها من أجهزة خارجية إذا أوقفناها توقفت هذه الحياة الخلوية.

(ح) كما أثبتنا سابقًا في المسألة السادسة أن الوِزْر الشرعي الرئيسي يقع على إزهاق الروح وليس إزهاق الجسد. وأوضحنا أن المتبقي في هذا الجسد هو حياة بعض الأنسجة منفردة. وهي كما قلنا حياة صناعية بدون روح أقل درجة من حياة النبات وحياة الحيوان وحياة الجنين داخل الرحم قبل نفخ الروح فيه. وبذلك نستنتج أنه من الممكن إيقاف أجهزة التنفس الصناعي والأدوية المتحكمة في عمل أنسجة الجسم المتبقية بعد موت المخ. وهذا لا يعد تعجيلاً بموته لأنه في عداد الموتى. وذلك لتحقيق مصلحة أكبر وفوائد عديدة منها:

١. إراحة أقارب هذا الإنسان المتوفى (بدون روح) من الأمل غير المبرر وغير المجدي لرجوع الحياة إليه. وتخليصهم من القلق والتوتر الذي قد يطول لفترة زمنية لا نعلم طولها.
٢. التخلص من تكاليف مالية لا طائل من ورائها يتكبدها الأهل.
٣. توجيه الإمكانات الطبية المتاحة (أجهزة الإنعاش المتطورة باهظة الثمن. والأشخاص المدربين) لخدمة مرضى يحتاجونها بالفعل.
٤. البت في المسائل التي تتعلق بالميراث: فإذا كان وصول الروح إلى الحلقوم - كما أوضحنا- يحرم الإنسان من الوصية بما يملك ويجعل ماله للورثة. فما بالنا إذا غادرت الروح تمام الجسد. وإذا مات أحد مستحقي الميراث. فمن يُعتبر أسبق بالوفاة: هذا المستحق أم صاحب الإرث الميت مخيًّا؟
٥. البت في المسئوليات القانونية والجنائية الواقعة على المتسبب في موت هذا الشخص دماغيًّا. وحق وليه في الدية أو القصاص المترتِّب على ذلك.

٦. إمكانية أخذ أعضاء من هذا الجسد لنقلها لشخص آخر يحتاجها ليحيا حياة كريمة. أو للمحافظة على حياته وبالتالي المحافظة على وجود الروح في هذا الشخص الآخر المتلقي. وذلك بعض وضع الضوابط الصارمة بخصوص نقل الأعضاء من موتى المخ.

سادسا: نبذة قصيرة نلخص فيها وسائل تشخيص موت المخ طبيا: [١،٢،٣]

تتكون هذه الوسائل من ثلاث نقاط إكلينيكية [سريرية] يجب أن تجتمع معا هي:

١. فقد الوعي وفقد القدرة العضلية على التجاوب للنداء على الشخص. وعلى التجاوب لمؤثرات مؤلمة (مثل وخز الإبر أو الضغط على مناطق حساسة للألم) في المناطق التي يتحكم في عملها الأعصاب الجُمجمية التي توجد مراكزها في جذع المخ.

٢. فقد القدرة على ردود الأفعال المنعكسة اللاإرادية والتي يتحكم فيها جذع المخ (Brain Stem Reflexes) ومعظمها يرتبط بالعين وحركتها.

٣. عدم وجود تنفس تلقائي بعد إيقاف جهاز التنفُّس الصناعي لمدة ثماني إلى عشر دقائق.

مع الأخذ في الاعتبار أنه إذا كانت هناك بعض العوامل الأخرى التي تؤثر في وظيفة المخ وتؤدي إلى الإغماء المؤقت. مثل: انخفاض شديد في درجة حرارة الجسم أو هبوط ضغط الدم أو تعاطي أدوية معينة أو كحول مما قد يؤثر على نشاط المخ أو على القدرة العضلية أو حالات السكر الشديد أو انخفاض سكر الدم. ففي مثل هذه الحالات يلزم التأكد من موت المخ بواسطة "اختبارات إضافية". مثل عدم وجود أي ذبذبات في رسم المخ الكهربائي. واختبارات الجهد الكهربائي المثار (Evoked Potentials). ووسائل الأشعة

(1) Critical Care Medicine: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

(2) Brain Death Worldwide: Accepted fact But No Global Consensus on Diagnostic Criteria: Wijdicks E., Neurology, 58: 20-25, 2002

(٣) انظر الشبكة الدولية للمعلومات: قتل الرحمة (euthanasia) - موت الدماغ من منظور إسلامي - شيخ الأزهر للأطباء إياكم وقتل الرحمة
www.islamic medicine.org/views:htm

المتقدمة خاصة التي تبين عدم وجود تدفق للدم إلى المخ ويضيف البعض عدم استجابة جذع المخ لحقن عقار الأتروبين: بعدم زيادة معدل النبض.

ويمكن وضع ضوابط وقواعد صارمة للتأكد من كفاءة من يقوم بتشخيص موت المخ وأمانته حسب قوانين البلدان المختلفة مثل:

- العدد الواجب للأطباء الذين يقومون بالتشخيص.
- تخصصات الأطباء الذين يقومون بالتشخيص (مثلاً طبيب أعصاب، أو رعاية مركّزة أو تخدير...)
- التدريب الكافي على التشخيص.
- هل يقوم كل منهم بالتشخيص منفردًا أم مجتمعين؟
- تعدُّد مرات التشخيص بواسطة كل فرد من الفريق الطبي (فيجب أن تكون مرتين على الأقل تفصلهما فترة زمنية يتفق عليها).
- عدم وجود أي اتصال بين الفريق الطبي الذي يقوم بتشخيص موت المخ والفريق المحتمل وجوده إذا كانت هناك خطة لنقل عضو من هذا الإنسان الميت مخه إلى إنسان آخر.

سابعا: في هذا المكان من البحث أود أن أضيف هذه المعلومة لتكون تحت نظر من يعترض على اعتبار موت المخ الكلي هو موت جسدي بالإضافة إلى أن الروح قد غادرت الجسد. فإننا إذا نظرنا إلى العلامات الأربع التي اشترط مجمع البحوث الإسلامية تحقق وجودها مجتمعة لتشخيص موت إنسان ومغادرة روحه لجسده. فسوف نجد أن المجمع أقرَّ برأي الطب في أن موت المخ يعول عليه في تشخيص الموت وقبض الروح. ونوضّح ذلك فنقول:

إن ثلاثا من العلامات الأربع التي اشترطها المجمع هي علامات موت المخ، وهي:

١. **إحداد البصر:** معناه شخوصه أو عدم حركة العين وهو يحدث بسبب موت أعصاب جُمجمية (Cranial nerves).

٢. **انفراج الشفتين:** يحدث بسبب موت العصب السابع من الأعصاب الجمجمية.

٣. **سقوط القدمين فلا ينتصبان:** وهذا يحدث بسبب فقد ردود الفعل المنعكسة اللاإرادية وعدم الإحساس بمكان القدمين والتي يتحكم فيها المخ.

أما العلامة الرابعة التي اشترطها مجمع البحوث الإسلامية لتشخيص الموت فهي توقف التنفس. وإذا نظرنا إلى الإنسان الذي مات مخُّه بينما قلبه ما زال يعمل معتمدًا على أجهزة صناعية فهو لا يتنفس. ولكن الأجهزة الصناعية تضخ الأكسجين مباشرة تحت ضغط إلى الرئة ليحملها الدم عن طريق ضخ القلب إلى أنسجة الجسم.

ثامنا: الرأي الإسلامي بخصوص موت المخ:

انعقدت دورتان للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، الأولى عن «الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها» عام ١٩٨٥م، والثانية عن «التعريف الطبي للموت» عام ١٩٩٦م، وكلتاهما اعتبرتا الإنسان ميتًا إذا توقفت وظائف دماغه بأجمعها نهائيًّا عن العمل بما في ذلك جذع المخ. وهو أيضًا ما قرَّره مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي المنعقد في عمان العاصمة الأردنية عام ١٩٨٦م، ومجمع البحوث الإسلامية في القاهرة عام ٢٠٠٩م، فقد أفاد أنه بعد التداول في سائر النواحي التي أُثيرت حول أجهزة الإنعاش واستماعه إلى شرح مستفيض من الأطباء المختصين قرر أنه يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص إذا حكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بتعطل

جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًّا لا رجعة فيه. وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليًّا بفعل الأجهزة المركبة. ويعتبر ميِّتًا شرعًا بعد توقف التنفس والقلب توقفًا تامًّا بعد رفع هذه الأجهزة[1].

وقد أخذت معظم دول العالم الإسلامي وغير الإسلامي برأي الطب في اعتبار موت الدماغ موتًا للإنسان. ووضعت القوانين المنظمة لرفع أجهزة الإنعاش المركبة على هؤلاء الأشخاص. كما وضعت القوانين واللوائح المنظمة لنقل الأعضاء منهم. وفي منطقة الشرق الأوسط لم يتبقَ سوى قليل من الدول التي لم تضع بعد مثل هذه القوانين كمصر والسودان وليبيا والعراق.

وأنا أُضيف أنه إذا كانت هذه المؤتمرات الفقهية قد اعتمدت في قراراتها على رأي الطب في اعتبار الشخص ميتًا عند موت الدماغ فإن إثبات سبق مغادرة الروح لجسد الشخص الميت دماغيًّا يدعم قرارات هذه المؤتمرات الفقهية. ويساعد أهل وأقارب هذا الشخص على أخذ قرار برفع أو عدم رفع أجهزة الإنعاش عنه.

---

[1] انظر الشبكة الدولية للمعلومات: قتل الرحمة (euthanasia) - موت الدماغ من منظور إسلامي - شيخ الأزهر للأطباء إياكم وقتل الرحمة
www.islamic medicine.org/views:htm

القسم الثالث

نقاط طبية تثير الجدل حول

التشخيص الطبي لموت المخ

أثبتنا أنه إذا استطاع الطب أن يجزم بموت المخ فقد غادرته الروح. ولكن هل يستطيع الطب ذلك؟ لقد توصل الطب إلى علامات كثيرة يجب أن تستوفى قبل إعلان موت المخ. وقد اتفقت عليها الأغلبية العظمى من دول العالم. وبالرغم من ذلك فهناك نقاط طبية تُثار بين الحين والآخر من جانب المعارضين لاعتبار موت المخ موتًا للكائن الإنساني. وما زالت تُثير الخلاف بين بعض المهتمين بهذا الشأن. وسوف نقوم فيما يلي بعرض هذه النقاط. ثم نعلّق عليها.

السؤال الأول: لماذا لا تنخفض درجة حرارة الجسم في بعض حالات موت المخ بالرغم من أن مركز التحكم في حرارة الجسم يقع في المخ؟

حتى تظل درجة حرارة الجسم ثابتة يجب أن يكون معدل اكتساب الجسم للحرارة مساويًا لمعدل فقدها. وفي الأحوال العادية يكتسب الجسم الحرارة من حرق الغذاء ومن الجو المحيط إذا كان دافئًا. بينما يفقد الجسم الحرارة بطرق عدة. مثل: فقد الحرارة مع الهواء الخارج من الرئتين. وعن طريق الجلد بالبخر والعرق والتوصيل والإشعاع. وأيضًا عن طريق البول والبراز وشرب وأكل مشروبات ومأكولات باردة. ويوجد مركز للتحكم في درجة حرارة الجسم في جزء من المخ يسمى المركز المخي تحت المهاد (Hypothalamus). وظيفته

كالثرموستات (Thermostat) فهو يعطي إشارات لزيادة أو تقليل معدل فقد الحرارة للحفاظ على ثبات درجة حرارة الجسم"[1]. ولذلك يحق لنا أن نتساءل هل يستطيع الجسم أن يتحكم في درجة حرارته بعد توقف هذا المركز عن العمل؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن هناك بالفعل وسائل يستعين بها الجسم بمعزل عن المخ لزيادة درجة حرارته أو حتى فقدها. ومن هذه الوسائل:

١. يستمد الإنسان الميت مخيًّا حرارة جسمه من الغذاء الذي يصل إليه. تمامًا مثل الإنسان الذي يعيش في الظروف العادية. وفي حالة موت المخ تتم التغذية صناعيًّا عن طريق أنبوب يصل للمعدة أو عن طريق المحاليل الوريدية. ثم يتم حرق هذا الغذاء بواسطة الأكسجين الذي تضخه إلى الجسم أجهزة التنفس الصناعي. وبواسطة حرق هذا الغذاء تنتج الحرارة التي توزعها الدورة الدموية إلى مختلف أجزاء الجسم لتتساوى الحرارة بين مختلف أجزاء الجسم الداخلية والسطحية"[2].

٢. في حالة الاحتياج إلى زيادة درجة حرارة الجسم يمكن للجسم أن يزيد من حرارته بمعزل عن المخ بواسطة خاصية اسمها "التأثير النوعي الديناميكي للغذاء" (Specific Dynamic Action). وهذا "التأثير النوعي الديناميكي" عبارة عن قابلية المواد الغذائية في ذاتها لزيادة التمثيل الغذائي وإنتاج حرارة تُفقَد عند حرق هذه المواد الغذائية. ولا يستفيد بها الجسم. وهذه الحرارة المفقودة تمثل ٣٠٪ من السعرات الحرارية التي تنتج عند حرق البروتينات. و٦٪ من حرق الكربوهيدرات.

---

[1] Physiology in Medical Practice, Metabolism: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 1990.

[2] Physiology in Medical Practice, The Cardiovascular System: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 2003.

بينما تصل إلى ٤٪ من حرق الدهون. وفي حالة احتياج الجسم لزيادة درجة حرارته فإنه يستغل هذه الطاقة المفقودة لزيادة درجة حرارته[1].

٣. ويمكن للجسم أيضًا أن يكتسب حرارة بواسطة زيادة إفراز هرمونات معينة تضيف حرارة للجسم. وزيادة إفراز هذه الهرمونات يحدث عند تعرض الجسم لأي ضغط (Stress). وبدون الاعتماد على المخ مثلما يحدث أثناء العمليات الجراحية تحت مخدر عام[2]. وهذه الهرمونات تسمى هرمونات الضغط أو التوتر (Stress Hormones). مثل هرمونات الغدة الدرقية والكظرية والتي تساعد على إضافة حرارة للجسم عن طريق زيادة معدل التمثيل الغذائي. وتعديل هذا التمثيل الغذائي كي ينتج حرارة أكثر مما يختزنها. وهو ما نسميه إنتاج الحرارة الكيميائي (Chemical Thermogenesis)[1].

٤. ولا نستبعد محاولة الجسم تقليل فقده للحرارة أو زيادتها بانقباض أو انبساط الأوعية الدموية التي تصل للجلد بمعزل عن تحكم المخ. أي: بردّ فعل ذاتي للأوعية الدموية. فمن القواعد الثابتة طبيًّا أن جدار الأوعية الدموية يستجيب لمؤثرات مختلفة بالانقباض والانبساط بدون الاعتماد على المخ. مثلما يحدث كرد فعل ذاتي للأوعية الدموية لمعاملة أو إمساك الأنسجة أو جرحها عند ارتفاع أو انخفاض ضغط الدم[3].

---

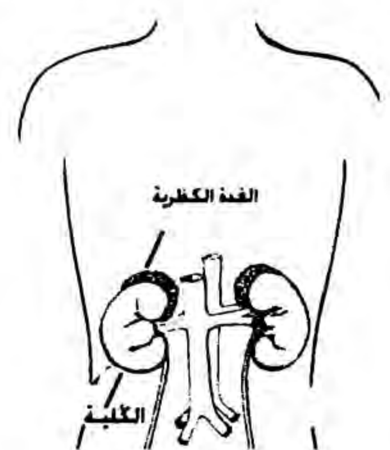
[1] Physiology in Medical Practice, Metabolism: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 1990.
[2] http://db.datex-ohmeda.com/evadb/fi3037.nsf/... Endocrine, Immune and Metabolic Response to Surgery—under Google.com
[3] Physiology in Medical Practice, The Cardiovascular System: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 2003.

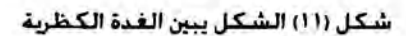
٥. وكذلك تم اكتشاف مستقبلات لهرمون الأدرينالين (الذي تفرزه الغدة الكظرية) في خلايا الغدد العَرَقية[1]. وبذلك يمكن لهذا الهرمون أن يزيد أو يقلل من العرَق لزيادة أو إنقاص حرارة الجلد وبالتالي حرارة الجسم.

ويلاحظ أن هذه الوسائل التي يستخدمها الجسم للحفاظ على حرارته بمعزل عن المخ قد تكون غير كافية للحفاظ على ثبات درجة حرارته. ولذلك فإن نسبة كبيرة من حالات موت المخ يحدث فيها اضطراب في درجة حرارة الجسم، خاصة هبوطها، مما يستدعي تدخل الفريق الطبي باتخاذ وسائل تحافظ على درجة حرارة جسم الميت مُخيًّا، مثل: تدفئة الغرفة وتغطية الجسد بأغطية مُدفأة وإعطاء محاليل وريدية دافئة وتقليل معدل سريان الأكسجين من جهاز التنفس الصناعي[2].



شكل (١٠) الشكل يبين الغدة الدرقية




شكل (١١) الشكل يبين الغدة الكظرية

---

(1) Physiology in Medical Practice, Metabolism: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 1990.

(2) **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

السؤال الثاني: بعد تشخيص موت المخ كيف يستمر إفراز الهرمونات من الغدة النخامية والتي تقع في قاع الجمجمة وتستمد غذاءها من الدورة الدموية للمخ؟

أولا: لا تستمر الغدة النخامية في العمل في كل حالات موت المخ. وإنما في بعضها القليل. وفي هذا الحالات يمكن تفسير استمرار الغدة النخامية في العمل بكونها تستمد بعض غذائها من مصدر يختلف عن الدورة الدموية للمخ وهو أوعية دموية تقع خارج الأم الجافية[1] (Dura Mater). وهي الغشاء الخارجي للمخ. ومن المعروف طبيًّا أنه عندما تتوقف الدورة الدموية الرئيسية لأي عضو من أعضاء الجسم فإنه يحدث تعويض لفقد الجزء الرئيسي من الدورة الدموية باتساع الأوعية الدموية البديلة وتكوين أوعية جديدة. وذلك نراه واضحًا في حالات انسداد الشرايين التاجية المغذية للقلب. فكم من أشخاص يحيون حياة طبيعية أو شبه طبيعية بعد انسداد الجزء الأعظم من هذه الشرايين التاجية.

ثانيا: تنقسم الغدة النخامية وظيفيًّا إلى جزأين: فصّ أمامي. وفصّ خلفي.

أ- الفصّ الأمامي للغدة النخامية: ويقوم هذا الفصّ بإنتاج وإفراز الهرمونات بطريقتين. إما بالاستجابة لمؤثرات تأتي من المخ أو بالاستجابة لمؤثرات من الأنسجة المختلفة غير المخ (مؤثرات طرفية)[2]. وبالتالي فبعد موت المخ يستمر الفص الأمامي للغدة النخامية في صنع وإفراز الهرمونات نتيجة الاستجابة للمؤثرات الطرفية.

(1) http://www.medscape.com/view article/405581—2. Extradural Neural Axis Compartment: Conclusions —under Google.com

(2) **Review of Medical Physiology**: W.F. Ganong-Lange Medical Publications-9th edition-Los Altos -California, 1979.

ب- الفص الخلفي من الغدة النخامية لا يقوم بصنع أي هرمونات، ولكنه يختزن نوعين من الهرمونات- التي تصل إليه من مراكز صنعها في المخ- في حويصلات، ثم يقوم بإفرازها عند حاجة الجسم إليها، وهذا الإفراز يتم نتيجة الاستجابة لمؤثرات تصله من المخ أو من الأنسجة الطرفية، ولذلك فإنه بعد موت المخ يستمر إفراز الهرمون المختزن بالاستجابة لمؤثرات طرفية، ولكن مع مرور الوقت يبدأ هذا الإفراز في التناقص شيئًا فشيئًا حتى يتوقف. والهرمون الرئيسي الذي يُفرز بواسطة الفص الخلفي للغدة النخامية هو الهرمون المانع لإدرار البول (Anti diuretic hormone)، وقد وُجِد أن انخفاض مستوى هذا الهرمون في الدم لا يظهر تأثيره على معدل إدرار البول إلا بعد انخفاضه بشدة (بعد أن ينقص أكثر من ٨٠٪ من مستواه الطبيعي)[1]. وفي حالات موت المخ وُجِد هذا التأثير على إدرار البول (Diabetes Insipidus) في أكثر من ثلاثة أرباع الحالات بعد ١٢-٢٤ ساعة[2]، وقد تصل هذه النسبة إلى حوالي كل الحالات بعد أسبوع. وفي رأيي إنه إذا كان هناك أدنى شك في الموت الكلي للمخ في حالة استمرار وجود هذا الهرمون في الدم فلِمَ لا نتمهل في تشخيص موت المخ حتى يهبط مستواه في الدم للعدم؟

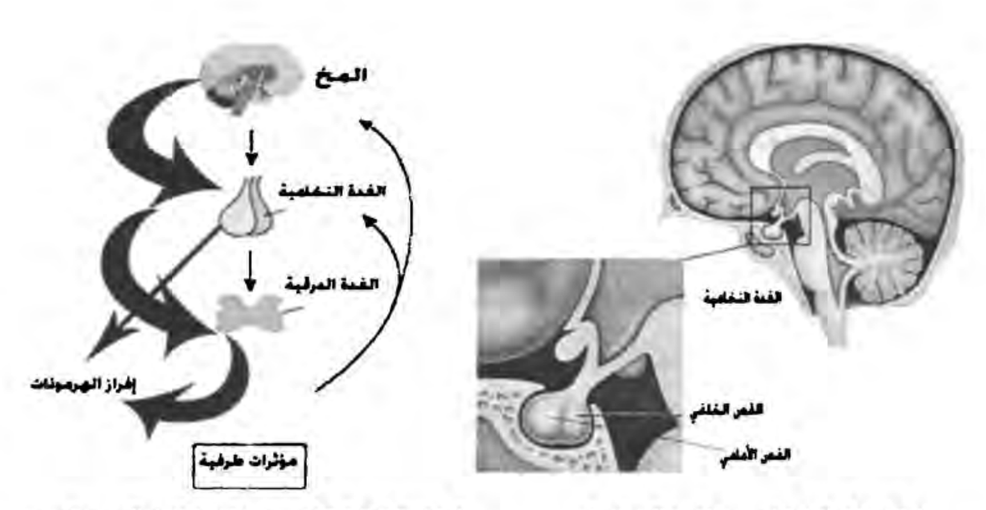
ثالثا: وأود أن أضيف معلومة أخرى وهي أنه قد يكون هناك مصدر آخر أو نسيج آخر في الجسم لإنتاج هذا الهرمون غير المخ ولو بنسبة قليلة، كما يحدث في بعض الأورام التي تنتج هذا الهرمون وغيره من الهرمونات[3].

---

(1) http://www.saclinpath.co.za/documents/polyur.doc. Diabetes Insipidus (DI) —under Google.com

(2) ... books.google.com.eg/books?isbn=1416042520. Critical Care Nephrology Claudio Ronco, Rinaldo Bellomo, John A kellum - 2008. Under Google.com— ADH in brain dead.

(3) ... books.google.com.eg/books?isbn=0198569467. Clinical Pathology James Carton, Richard Daly, Pramila Ramani - 2007 - under Google.com — Extracranial production of ADH.



شكل (١٢) الشكل يبين الغدة النخامية.

شكل (١٣) الشكل يبين إمكانية إفراز الهرمونات من الغدة النخامية بعد موت المخ.

السؤال الثالث: لماذا يتوقف عمل القلب والدورة الدموية بعد تشخيص موت المخ في بعض الأحيان ويستمر لفترات طويلة في أحيان أخرى؟

لقد وُجِد أن موت المخ يؤثر بالسلب على جميع أعضاء الجسم حتى مع أقصى درجات الرعاية والخبرة حتى يحدث توقّف نهائي لا رجعي للقلب والدورة الدموية. وهذا التأثير السلبي لموت المخ يحدث عن طريق:

أولا: حدوث "رد فعل التهابي"[1] (Inflammatory Response) نتيجة موت المخ أو حتى القصور الشديد في دورته الدموية مما يؤدي إلى إفراز مواد كيميائية تُسمَّى "وسائط

[1] Acta Anaesthiologica Scandinavica, vol 52, No 5, pp 621 - 627, 2008. Does brain death induce a pro-inflammatory response at the organ level in a porcine model?

الالتهاب" (Inflammatory Mediators). وهذه المواد تضر بأنسجة الجسم عن طريق انقباض أو انبساط الأوعية وحدوث اضطراب في تسرب المواد الأولية من وإلى خلايا الجسم مما يؤدي إلى اضطراب وظيفتها.

ثانيا: تسرب مواد ضارة إلى الدورة الدموية تؤدي إلى حدوث جلطات صغيرة تنشرها الدورة الدموية إلى كل أو بعض أنسجة الجسم مما يؤدي إلى اضطراب وظيفة كثير منها[1].

ثالثا: فقد تحكم المخ في وظائف الدورة الدموية مما يحدث اضطرابًا في انقباض وانبساط الأوعية الدموية. وفي ضغط الدم، وسرعة نبضات القلب.

رابعا: حدوث مضاعفات في بعض أجهزة الجسم الأخرى مما يؤثر بالسلب على عمل القلب. ومن أمثلتها:

(أ) زيادة إفراز هرموني الأدرينالين والنورأدرينالين من الغدة الكظرية. والذي يضر بعمل القلب[2].

(ب) حدوث استسقاء رئوي في بعض الحالات. كما قد يحدث ارتجاع محتويات المعدة إلى الرئتين (رشف رئوي) مما قد يؤدي إلى انغلاق بعض الحويصلات الهوائية. وهذا يؤدي إلى نقص كفاءة أنسجة الرئتين في توصيل الأكسجين إلى أنسجة الجسم المختلفة ومنها القلب مما يؤثّر تأثيرًا مباشرًا سيئًا على عمل القلب.

(ج) الإدرار الزائد للبول (Diabetes Insipidus) يؤدي إلى نقص حجم الدم في الدورة الدموية مع زيادة تركيزه وقابلية حدوث التجلطات.

(د) انخفاض درجة حرارة الجسم يؤثر سلبيًا على القلب.

---

(1) Saudi Journal of kidney Diseases and Transplantation, vol 8, No 1, pp 21-31, 1997. Management at Brain-Dead organ Donors. Fizgerald RD.

(2) **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

مما ذكرنا نرى أن وظيفة الفريق الطبي للحفاظ على عمل القلب والدورة الدموية وعلى سائر أعضاء الجسم بعد موت المخ شديدة التعقيد[1]، وتحتاج إلى خبرة عالية ودقة شديدة في استعمال العقاقير المناسبة وجرعاتها وبدائلها، واستعمال جهاز التنفس الصناعي، وإعطاء التغذية المناسبة، فمثلاً نحتاج إلى:

١. إعطاء عقاقير قابضة للأوعية الدموية بنوعيات مختلفة وبجرعات شديدة الدقة للحفاظ على ضغط الدم ومعدل خفقان القلب المناسبين، وفي نفس الوقت لا تسبب قصورًا في الدورة الدموية لأنسجة الجسم المختلفة ومنها القلب.

٢. إعطاء محاليل تحقن وريديًّا طوال الوقت للحفاظ على حجم الدم داخل الدورة الدموية، وكتغذية، وفي نفس الوقت لا تسبب هذه المحاليل تغيرات في درجة تأين الدم (الحمضية والقلوية)، وفي مستوى السكر بالدم.

٣. ضخ أكسجين عن طريق جهاز التنفس الصناعي بمعدل ونسبة رطوبة ودرجة حرارة مناسبين، لإعطاء الجسم حاجته من الأكسجين، وفي نفس الوقت لا يحدث تلفًا بأنسجة الرئتين، ويساعد في الحفاظ على درجة حرارة الجسم.

٤. تغذية بكميات ونوعيات مناسبة وبطرق مختلفة (عن طريق الوريد أو الأنبوبة المعِدية) تعطي للجسم حاجته الغذائية وفي نفس الوقت تحافظ على درجة حرارته.

وبذلك يتبين لنا أنه بدون الرعاية الفائقة فإن توقف القلب والدورة الدموية يكون حتميًّا بعد فترة ما، وهذه الفترة قد تقصر أو تطول حسب كفاءة وخبرة الفريق الطبي، وهي تتراوح بين ساعات وأيام وقد تصل إلى شهر في حالات قليلة، أو أكثر من شهر في حالات نادرة[2].

---

(1) Saudi Journal of kidney Diseases and Transplantation, vol 8, No 1, pp 21-31, 1997. Management at Brain-Dead organ Donors. Fizgerald RD.

(2) European Neurology, Vol 49, No 2, 2003. Survival of Cardiac Function After Brain Death in Kuwait. S. Al-Shammri, R.F. Nelson, R. Madavan, T.A. Subramaniam & T.R. Swaminathan.

السؤال الرابع: لماذا يتم تخدير موتى المخ عند أخذ أعضاء منهم لنقلها لآخرين؟

أولا: قد لا يعرف غير الأطباء أن التخدير ليس مجرد إفقاد الوعي، ولكن يضاف إلى ذلك إرخاء عضلات الجسم أو جعلها في حالة شلل مؤقت، وجميع عضلات الجسم لها في الحالة الطبيعية درجة بسيطة من الانقباض أو التوتر الأساسي (Tone)، كما أنها تنقبض عند التعامل معها بلمسها أو تقريب مصدر حراري منها أو عمل جرح قطعي بها، وهذا الانقباض للعضلات يحدث بواسطة رد فعل منعكس موضعي يصل بالأكثر إلى الحبل الشوكي، وليس إلى المخ، وفي حالة موت المخ ليس هناك حاجة لإفقاد الوعي لأن الميت مخيًّا يكون في غيبوبة عميقة، ولكن هناك حاجة ماسة لإرخاء عضلات الجسم من حالة التوتر الأساسي وتقليل رد فعلها عند التعامل معها جراحيًّا لتسهيل الإجراء الجراحي الذي يصبح في غاية الصعوبة بدون هذا الإرخاء.

ثانيا: يوجد بجدار الأوعية الدموية عضلات مسئولة عن انقباض وانبساط هذه الأوعية الدموية، ولذلك فالجرَّاح يحتاج إلى عقار مخدِّر يقوم بإرخاء جدار الأوعية الدموية في العضو المراد نقله ويقلِّل رد فعله بالانقباض عند التعامل مع هذا العضو حتى لا يضر به، ويقلِّل من فرص نجاح العملية.

ثالثا: وبعكس الظن بسهولة تخدير الميت مخيًّا فإنه يمثل تحديًّا حقيقيًّا لفريق التخدير للتغلب على الصعوبات الكثيرة التي تنشأ بعد موت المخ والتي تؤثر سلبيًّا على عمل القلب والدورة الدموية، وبالتالي على سائر أنسجة الجسم، وقد يضر ضررًا بليغًا بالعضو المراد نقله[1]، ومن أمثلة هذه الصعوبات:

---

(1) Canadian Journal of Anaesthesia, Vol 37, No 7, October 1990. Anaesthetic management of the brain-dead for organ donation, Adrian W. Gelb and Kerri M. Robertson.

٢. اضطراب معدل خفقان القلب.

٣. انخفاض حجم الدم في الدورة الدموية لكثرة إدرار البول.

٤. حدوث جُلَّطات بالدورة الدموية.

٥. عدم كفاءة الرئتين لنقل الأكسجين إلى الأوعية الدموية.

٦. انخفاض درجة حرارة الجسم.

٧. ارتفاع مستوى سكر الدم.

رابعا: وتجدر الإشارة إلى أنه عند التعامل جراحيًّا مع أنسجة الجسم يزيد إفراز هرموني الأدرينالين والنورأدرينالين من الغدة الكظرية مما يؤدي إلى زيادة نبضات القلب وزيادة نشاط الغدد العرَقية. كما قد تحدث بعض الحركات في العضلات بواسطة رد فعل منعكس موضعي أو يصل إلى الحبل الشوكي. ومثل ردود الأفعال هذه قد تثير قلق وتوتر بعض المتواجدين بغرفة العمليات. فيجب الانتباه لهذا. وردود الأفعال هذه قد تقل جزئيًّا بالتخدير مما يعتبره البعض فائدة إضافية لتخدير حالات موت المخ.

السؤال الخامس: كيف يستمر الجنين حيا في بطن المرأة الحامل الميتة مخيا لأسابيع قبل أن يخرج إلى الحياة؟

الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى توضيح نقطتين:

النقطة الأولى: يعتمد الجنين على المشيمة في عملياته الحيوية. فهي تقوم بإمداده بالغذاء في صورته البسيطة. وبالأكسجين وبالهرمونات. كما تقوم بالتخلُّص من المواد السامَّة في جسم الجنين. وكل هذه العمليات الحيوية تحدث عن طريق سريان هذه المواد

بين الدورة الدموية للمشيمة والدورة الدموية للجنين. أي أن جميع احتياجات الجنين المطلوبة من الأم تقوم بها المشيمة التي توجد داخل الرحم. وهذه المشيمة تعمل كوحدة مستقلة تعتمد لكمال وظيفتها على الدورة الدموية للأم وما تحمله من غذاء وأكسجين. أي أن وظيفتها مستقلة عن مخ الأم[1]. وبالتالي فليس مستبعدًا أن يستمر الجنين حيًّا في بطن الأم الميتة مخيًّا طالما الدورة الدموية للأم ما زالت تعمل. وطالما أجهزة التنفس الصناعي تضخ الأكسجين اللازم.

النقطة الثانية: يعيش الجنين داخل الرحم وهو الوعاء الذي يحتويه في بطن الأم. ويعتمد الرحم في عملياته الحيوية (مثل باقي أعضاء الجسم) على الدورة الدموية وما تحمله من غذاء وأكسجين. أما علاقة الرحم بالمخ فهي تَحَكُّم المخ في حركيَّة الرحم. أي انقباضه وانبساطه. وارتخاء عضلات الرحم يكون ضروريًّا أثناء الحمل للحفاظ على الجنين داخله وعدم طرده[1]. وبعد موت المخ قد تحدث زيادة في حركية الرحم. ولكن من السهل طبيًّا إعطاء عقاقير عن طريق الوريد لإرخاء الرَّحم والحفاظ على الحمل داخله.

وبذلك نرى من شرح النقطتين السابقتين أن الجنين يستطيع أن يستمر في الحياة داخل الرحم برغم كون الأم ميتة مخيًّا.



شكل (١٤) الشكل يبين الجنين والمشيمة داخل الرحم

(1) William's Obstetrics, Cunningham, Mac Donald, Gant, Leveno, Gilstrap. 19th edition – Printice – Hall International Inc., 1994. Printed in Egypt by Elias Modern Press.

السؤال السادس: كيف يستطيع الطفل حديث الولادة الرضاعة من أم ميتة مخيا؟

هناك مرحلتان تحدثان أثناء الرضاعة هما تكوين اللبن ثم إدراره.

أولا: يعتمد تكوين لبن الأم أثناء الرضاعة على هرمون ينتج بواسطة الفص الأمامي للغدة النخامية. يسمى الهرمون المنتج للبن (Lactogenic hormone) أو البرولاكتين (Prolactin). ويمكن أن يستمر الفصّ الأمامي للغدة النخامية في إفراز هذا الهرمون بعد موت المخ كما أوضحنا في السؤال الثاني.

ثانيا: يعتمد إدرار اللبن أثناء الرضاعة على هرمون يُسمَّى أوكسيتوسين (Oxytocin). وهذا الهرمون ينتج بواسطة المخ. ثم يتم تخزينه في حويصلات داخل الفص الخلفي للغدة النخامية. وعند الرضاعة يحدث رد فعل منعكس يؤثر على المخ وعلى الغدة النخامية لإفراز هذا الهرمون المختزن. ومثلما ذكرنا في السؤال الثاني فإنه بعد موت المخ يستطيع الفص الخلفي للغدة النخامية أن يفرز هذا الهرمون بدون الاعتماد على المخ. وبذلك يحدث إدرار للبن. وبالطبع فإنه بعد موت المخ بفترة ما يقل إنتاج هذا الهرمون. ثم يتوقف مما يؤدي إلى فشل عملية الرضاعة.

السؤال السابع: كيف تحدث بعض الحركات في جسد الميت مخيا؟

لقد تم تسجيل كثير من الحركات الجسدية التي قد تحدث بعد موت المخ. وبنسب عالية تقرب من نصف الحالات[1]. وبعض هذه الحركات يحدث تلقائيًّا ولكن أكثرها يحدث

(1) The Canadian Journal of Neurological Sciences - Vol 36, No. 2, pp 154-160, March 2009 - Movements in Brain Death: Asystematic Review, Gustavo Saposnik, Vincenzo Basile, G. Bryan Young.

كرد فعل لمؤثر ما. مثل ثني الرقبة للأمام، أو تدوير الرأس للجانب، أو إيقاف جهاز التنفس الصناعي لدقائق قليلة، أو بالطَّرق بخفة بطرف الإصبع على بطن القدم، ومن أمثلة هذه الحركات حركات الذراعين وأصابع اليدين والقدمين أو حتى ثني الجسم عند الوسط بما يشبه محاولة الجلوس.

ويُفترض أن مصدر هذه الحركات هو الحبل الشوكي بعد موت المخ، وممَّا يؤيد هذا الافتراض دراسة بعض هذه الحركات. فعلى سبيل المثال:

١. إذا تم إيقاف جهاز التنفس الصناعي لدقائق قليلة فإنه تحدث الحركات المتتالية الآتية: فرد الذراعين ثم رفعهما لأعلى قبل أن يسقط الكفان على الصدر، ثم بجوار الجسد ويطلق الأطباء على هذه الحركة المُركبة "علامة لازاروس"[1] (Lazarus Sign).

٢. إذا قمنا بالطَّرْق برفق بطرف الإصبع على بطن القدم فإنه يحدث ثني للإصبع الكبير للقدم لأسفل، ثم يلي ذلك بالترتيب ثني الإصبع الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس بشكل يشبه التموج[2] (Undulating Toe Movements).

وبدراسة هذه الحركات المركبة وجد أنها تحدث بنفس الطريقة تمامًا في هذا الشخص الميت مخيًّا عند كل تعرض لنفس المؤثر، كما أنها تحدث بنفس الطريقة في الأشخاص الآخرين الميتين مخيًّا. فهي كالحركة الأتوماتيكية أو الآلية: حركة مركبة متتالية ومرتبة (Automatism)[3]. وهذه هي طبيعة الحركات التي يتحكم فيها الحبل الشوكي، وليست تحت تحكم المخ الإرادي الذي قد يُحدث بعض التغيير في الحركة عند تكرارها في نفس الشخص وباختلاف الأشخاص.

---

[1] Journal of Neurosurgery, Vol 71· No·3, Sept 1989, Lazarus Sign and Extensor Posturing in a Brain-Dead Patient· Case report· Luc Heytens, Jan Verlooy, Jan Gheuens, and Leo Bossaert·

[2] European Journal of Neurology, Vol1, 1 PP 723-727, 2004- Undulating toe movements in Brain Death· G·Saposnik, J· Mauino, R·Saizar, and J·A·Bueri·

[3] Neurocritical Care, vol3, No·2 pp122-126, October 2005· Brain Death-Associated Reflexes and Automatisms· Jain· Samay, De Georgia, Michael·

وكثرة حدوث هذه الحركات يمكن تفسيره بفقد سيطرة المخ على ردود الأفعال التي يحدثها الحبل الشوكي، أو بقصور الدورة الدموية ونقص الأكسجين وتراكم ثاني أكسيد الكربون أعلى الحبل الشوكي مما قد يهيج الحبل الشوكي ويحثه على إحداث هذه الحركات.

السؤال الثامن: إن معظم اختبارات موت المخ هي اختبارات سريرية، ونتائجها تقديرية من جانب من يجريها، فكيف نعتمد عليها في قطعية الدلالة بموت المخ؟

الاختبارات السريرية لتشخيص موت المخ هي ثلاثة اختبارات أساسية، وهي:

١. غيبوبة عميقة.

٢. غياب ردود الفعل المنعكسة التي يتحكم فيها جذع المخ، مثل استجابة حدقة العين للضوء، والاستجابة للمس القرنية، والاستجابة للمس جدار الحلق الخلفي وغيرها من الاختبارات.

٣. عدم وجود حركات تنفس (شهيق وزفير) بعد إيقاف جهاز التنفس الصناعي لعدة دقائق.

وصحيح أنه قد يتأثر تقييم هذه الاختبارات بالتقدير الشخصي من جانب من يجريها، كما قد تتأثر هذه الاختبارات بالعقاقير التي قد يتلقاها الشخص المثبت على جهاز التنفس الصناعي، وقد تكون هناك صعوبة في التقييم في حالات إصابات الرأس والوجه نتيجة حادثة ما.

ولذلك لتقليل أو إزالة الخطأ الذي قد يحدث بسبب العامل الشخصي في التقييم يجب أن تتوافر الخبرة والكفاءة والتدريب فيمن يقوم بهذه الاختبارات، وأن يتعدد من يقوم بالتشخيص، وأن تعاد هذه الاختبارات بعد فترة زمنية مناسبة يتفق عليها.

ولزيادة دقة التشخيص يلزم إجراء اختبارات تأكيدية أو أبحاث لا تعتمد على العامل الشخصي في التقدير، ولا تتأثر بأي أدوية معطاة، مثل رسم المخ الكهربائي، واختبارات الجهد الكهربائي المثار، واختبارات توقف الدورة الدموية في المخ.

السؤال التاسع: هل يضر اختبار إيقاف جهاز التنفس الصناعي بأي جزء قد يكون سليما من المخ؟

لتشخيص موت المخ يلزم إجراء اختبار إيقاف جهاز التنفس الصناعي لمدة ثماني إلى عشر دقائق للتأكد من عدم وجود تنفس تلقائي (شهيق وزفير). وفكرة هذا الاختبار هي أن مركز التنفس الموجود في جذع المخ هو الذي يتحكم في حركات التنفس (الشهيق والزفير). وهذا المركز يتأثر بزيادة تشبُّع الدم بغاز ثاني أكسيد الكربون. فيقوم بإرسال أوامر لعضلات التنفس كي يحدث الشهيق والزفير. ولإجراء هذا الاختبار نقوم بإيقاف جهاز التنفس الصناعي وننتظر لعدة دقائق حتى يرتفع معدل ثاني أكسيد الكربون إلى درجة تكفي لإثارة هذا المركز. فإذا لم يحدث الشهيق والزفير، فهذا معناه موت المكان الموجود فيه هذا المركز وهو جذع المخ. والسؤال المثار هو: هل إيقاف جهاز التنفس الصناعي أثناء الاختبار يؤدي إلى زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون أو نقص نسبة الأكسجين بالدم بدرجة كبيرة قد تضر بأي جزء قد يكون سليمًا من المخ؟ إجابة هذا السؤال هي بالنفي للأسباب الآتية:

أولا: خطوات إجراء هذا الاختبار لا تسمح بزيادة ثاني أكسيد الكربون بدرجة أعلى من المطلوب للتقييم (وهي ٦٠م زئبق أو ٢٠م زئبق أعلى من المعدل الأساسي). أو نقص تشبع الدم بالأكسجين بدرجة قد تضر بخلايا المخ. فمن خطوات الاختبار الأساسية إعطاء أكسجين بتركيز ١٠٠٪ لمدة نصف ساعة قبل الاختبار، ثم إعطاء أكسجين للرئتين

طوال الاختبار عن طريق أنبوب يصل للقصبة الهوائية مع القياس المستمر لنسبة تشبع الدم بالأكسجين وثاني أكسيد الكربون. ويتم إنهاء الاختبار إذا ارتفع تشبع الدم بثاني أكسيد الكربون إلى الدرجة المطلوبة. أو إذا مرت ثماني إلى عشر دقائق ولم يرتفع تشبع الدم بثاني أكسيد الكربون إلى الدرجة المطلوبة. أو إذا نقص الأكسجين عن درجة التشبع الطبيعية في الدم. وفي الحالتين الأخيرتين يعتبر الاختبار غير صالح. ويجب اللجوء إلى اختبارات تأكيدية أخرى للتشخيص"[1].

ثانيا: بعكس ما يظن الكثيرون فإن الأبحاث الحديثة تثبت أن زيادة تشبع الدم بثاني أكسيد الكربون إلى درجة ليست شديدة الارتفاع (Permissive Hypercarbia) يفيد ولا يضر الخلايا السليمة عن طريق إعادة توزيع الدورة الدموية في العضو المصاب"[1] لمصلحة الخلايا السليمة (Steal Phenomenon) مع تقليل معدل التمثيل الغذائي والاحتياج للأكسجين مما يؤدي إلى سرعة شفاء العضو المصاب. وهناك أبحاث تُجرى الآن لاختبار كفاءة إحداث زيادة في تشبُّع الدم بثاني أكسيد الكربون صناعيًّا إلى الدرجة المسموح بها كواحدة من خطوات علاج قصور الدورة الدموية للمخ.

السؤال العاشر: هل رسم المخ الكهربائي ليس دقيقا في تشخيص موت المخ؟

في حالات موت المخ فإن رسم المخ الكهربائي يُظهر عدم وجود أي نشاط كهربائي بالمخ. وقد وجد أن إجراء هذا الاختبار منفردًا قد لا يكون بالدقة الكافية خاصة في اختبار الأجزاء العميقة من المخ وجذع المخ.

---

[1] CC Nurse Journal Logo, Vol19, No2, April 1999. Determining Brain Death Jacqueline Sullivan, Debbiel Seem, and Franki Chabalewski.

[2] Journal of Neurotrauma, Vol 18, No.1, pp57-71, 2001. The Impact of Hypercarbia on the evolution of brain injury in a porcine model of traumatic brain injury and systemic hemorrhage Glass Todd F, Fabian Mathew J., Schweitzer John B., Weinberg Joseph A., Proctor Kenneth G.

ولكن في الحالات التي أثبتت فيها الاختبارات السريرية الثلاثة (التي ذكرناها في السؤال الثامن) موت المخ. ثم أثبت رسم المخ الكهربائي عدم وجود نشاط كهربائي لخلايا المخ. فإن كل هذه الحالات توقف فيها القلب بعد عدة أيام بالرغم من عدم إيقاف جهاز التنفس الصناعي[1].

وبذلك نرى أن رسم المخ الكهربائي هو اختبار مكمِّل للاختبارات الأخرى. ولا يصح الاعتماد عليه منفردًا. ولذلك ينصح باستيفاء الاختبارات التأكيدية الأخرى قبل تشخيص موت المخ.

السؤال الحادي عشر: إذا كان المفهوم العلمي للموت هو توقف التمثيل الغذائي، فكيف نستطيع التأكد من موت المخ بتوقف الدورة الدموية إليه؟

أولا: إن الموت هو نقيض الحياة. ولذلك يُعرف الموت بتوقف مظاهر الحياة التي يقوم بها الكائن الحي. وأبرزها التمثيل الغذائي. ويُعَرَّف التمثيل الغذائي بأنه مجموع العمليات الكيميائية التي تتم في الكائن الحي والتي بواسطتها يحول المواد الغذائية التي تصل إليه إلى طاقة (حرارية ومختزنة). وإلى وحدات كيميائية أولية ثم يستغلها في صنع نفس مادة الخلية بغرض النمو أو إصلاح ما يفسد من الأنسجة. ولتقوم الخلايا بالتمثيل الغذائي يجب أن يتوافر لها الغذاء (الكربوهيدرات والبروتينات والدهون). والذي يتم حرقه بواسطة الأكسجين. وينتج عن حرق الغذاء عادم تتخلص منه الخلية كي لا يتراكم داخلها ويؤثر عليها تأثيرًا ضارًّا. وتوقف الدورة الدموية عن المخ يؤدي إلى عدم وصول الأكسجين والغذاء إلى المخ وعدم التخلص من العادم أو نواتج التمثيل الغذائي الضارة.

[1] British Medical Journal, Vol 286, Jan 1983. ABC of Brain Stem Death. The Arguments about the EEG. Christopher Pallis.

أي أن توقف الدورة الدموية إلى المخ يؤدي إلى توقف التمثيل الغذائي. ومن المعروف أن خلايا المخ هي أكثر خلايا الجسم شراهة للأكسجين. ولا تتحمل توقُّف الأكسجين عنها إلا دقائق معدودة. تموت بعدها هذه الخلايا. وبذلك إذا أثبتنا توقُّف الدورة الدموية في المخ بعديد من الوسائل المتاحة طبيًّا. ثم تأكدنا مرة أخرى بعد عدة ساعات من توقفها فإن ذلك يثبت توقف التمثيل الغذائي في خلايا المخ أو موتها.

ثانيا: هناك وسائل طبية تشخيصية متاحة نستطيع بها مباشرة التأكد من توقف التمثيل الغذائي في المخ. منها:

١. إثبات عدم وصول الجلوكوز إلى خلايا المخ بواسطة الأشعة المقطعية (Positron Emission Tomography, PET)[1]. ومن المعروف أن الجلوكوز هو الوقود أو الغذاء الذي تستخدمه خلايا المخ للتمثيل الغذائي. وبالتالي انعدام وصول الجلوكوز إلى المخ معناه توقُّف التمثيل الغذائي.

٢. إثبات انعدام وجود الفوسفور (P٣١) في خلايا المخ بواسطة أجهزة الرنين المغناطيسي (MR Spectroscopy)[2]. وهذا يعني عدم وجود عمليات كيميائية في المخ لاختزان الطاقة أو استعمالها في نشاط الخلايا.

٣. إثبات عدم وجود نواتج التمثيل الغذائي في خلايا المخ بواسطة أجهزة الرنين المغناطيسي (MR Spectroscopy). وهذه المواد التي تنتج بواسطة خلايا المخ بعد حرق الغذاء لها مستويات معروفة طبيًّا في الخلايا السليمة. وتزيد في الخلايا المريضة. ثم تنعدم بعد موت هذه الخلايا. وبالتالي انعدام وجود هذه المواد معناه توقُّف التمثيل الغذائي في خلايا المخ.

---

(1) **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.

(2) Radiology, vol 179, pp 95-99, 1991. Assessment of Brain Death in Childrem by mean of P-31 MR Spectroscopy, Toshinori Kato, Aya Tokumaru, Toshihiro O'uchi, Ichiro Mikami, Masahiro Umeda, Koichio Nose, Tsuneyoshi Eguchi, Motohiro Hasegawa, Kazuo Okuyama.

السؤال الثاني عشر: هل نستطيع أن نصل إلى درجة اليقين في تشخيص موت المخ؟

أولا: إن العلم نسبي، وبالتالي فأي وسيلة تشخيصية متاحة مهما بلغت دقّتها لا تصل كفاءتها في التشخيص إلى درجة اليقين، أو ما نطلق عليه مائة في المائة، ولذلك فالقانون المدني المصري يلزم في حالات الموت ترك جثة الميت لمدة ساعتين قبل الدفن ليبدأ ظهور علامات ما بعد الموت (التغيرات الرِّمِّيَّة) كي لا يحدث أي خطأ في تشخيص الموت. ولكن في حالة الميت مخيًّا والمركب على أجهزة التنفس الصناعي لا تحدث هذه التغيرات الرِّمِّيَّة في البدن لاستمرار الدورة الدموية بما تحمله من غذاء وأكسجين، ولذلك فنحن نعتمد في حالات موت المخ على تشخيص حدوث الموت وليس تغيرات ما بعد الموت.

ومن الناحية الإحصائية سوف نحاول أن نبسط تفسير مدى دقة وسائل تشخيص موت المخ في النقاط التالية:

أولاً: أي وسيلة تشخيصية منفردة قد تكون لها نسبة خطأ بسيطة في دقة التشخيص، ولكن بالجمع بين عدة طرق متقدمة للتشخيص نستطيع أن نلغي أو نكاد نلغي هذه النسبة، كما في المثال التالي:

١. من أهم الوسائل التأكيدية لتشخيص موت المخ توقف الدورة الدموية عن المخ، وهناك وسائل عديدة متقدّمة لتشخيص ذلك باستعمال الصبغات، والموادّ المشعة، وأجهزة الأشعة المقطعية، وأجهزة الرنين المغناطيسي، وأجهزة الموجات الصوتية.

(أ) إذا كانت هناك وسيلة متقدمة مثل استعمال الرنين المغناطيسي في دراسة الأوعية الدموية تؤكد أنه لا يوجد سريان للدم إلى المخ، فمثلاً قد تكون نسبة التشخيص

الخاطئ أقل من واحد بالمائة. وذلك بافتراض أنه قد يكون هناك سريان بسيط جدًّا للدم أقل من قدرة الجهاز على قياسه.

(ب) إذا لجأنا إلى وسيلة تشخيصية أخرى للتأكد من عدم وجود دورة دموية بالمخ. وتكون فكرة القياس هذه المرة مختلفة عن قياس معدل السريان. مثل حقن مواد مشعة في الدم. ثم التأكد بأجهزة قياس الإشعاع من عدم وجود هذا النشاط الإشعاعي في المخ. فإننا بذلك نقلل كثيرًا من نسبة الخطأ الإحصائي.

(ج) ثم نستطيع بوسيلة ثالثة ورابعة- وكل منها يعمل بنظرية مختلفة- التأكد من عدم وجود دورة دموية بالمخ لتقليل نسبة الخطأ الإحصائي بدرجة أكبر.

(د) ثم بإعادة أحد أو كل هذه الاختبارات بعد فترة زمنية مناسبة يتفق عليها. يقل الخطأ الإحصائي بدرجة أكبر وأكبر.

٢. ثم نستطيع أن نشخص موت المخ بوسائل أخرى غير توقف الدورة الدموية بالمخ. مثل:

(أ) توقف النشاط الكهربائي في المخ برسم المخ الكهربائي أو بالجهد الكهربائي المثار.

(ب) انعدام نواتج التمثيل الغذائي في المخ بواسطة الرنين المغناطيسي.

(ج) عدم استجابة جذع المخ لحقن عقار الأتروبين بعدم زيادة معدل النبض.

(د) بالإضافة إلى الاختبارات السريرية الأولية.

وبذلك نرى أن تعدد طرق التشخيص واختلاف نظرياتها وتكرارها وتعدد من يقوم بالتشخيص يصل بنا إلى نسبة خطأ تقرب من العدم أو يكاد يلغيها.

ثانيا: بعد ذلك إذا افترضنا أنه ما زالت هناك نسبة خطأ بسيطة جدًّا في كفاءة الوسائل التشخيصية لتشخيص موت المخ الكلي إذا تم استيفاء معايير التشخيص المختلفة وتكرارها فإن نسبة هذا الخطأ البسيط لا يكاد يترك إلا قليلاً جدًّا (أو نسبة مهملة) من الخلايا التي لم تمت في وسط مليارات من الخلايا الميتة (كجزر منعزلة وسط محيط من الخلايا الميتة) مما يقطع بفشل المخ في العودة للعمل كجهاز تكاملي وعضو فعَّال. خاصة إذا تمت التذكرة بأن خلايا المخ إذا ماتت فإنها لا تستطيع العودة للحياة مرة أخرى. وهذا يُماثل المعتقد والمبدأ الذي تقبَّلناه على مر الزمن. وهو قبول موت الإنسان كجهاز تكاملي موتًا لا رجعة فيه ودفنه بعد موت القلب والتنفس والمخ بالرغم من وجود ملايين. (بل قد تكون مليارات) الخلايا التي ما زالت حية. وقد اشرنا إلى هذا سابقًا في مثال نقل القرنية بعد ساعات طويلة من الموت إلى إنسان آخر. وما زال بها آلاف الخلايا التي ما زالت حية بعد موت الإنسان.

السؤال الثالث عشر: كيف نستطيع تفسير إفاقة بعض الأشخاص بعد تشخيص موت المخ؟

انقسم الأطباء في هذا الشأن إلى فريقين:

1. الفريق الأول: وهم المؤيدون لكفاءة التشخيص الطبي لموت المخ. وهم الأغلبية. ويبرِّرون ذلك بحدوث خطأ في التشخيص.
2. الفريق الثاني: وهم الذين يشكِّكون في كفاءة التشخيص الطبي لموت المخ. وهم الأقلية. ويبرِّرون ذلك بعدم كفاءة المعايير الطبية التي نعتمد عليها في تشخيص موت المخ.

وقد شرحنا في السؤال الثاني عشر: دقة وكفاءة الوسائل المتاحة لتشخيص موت المخ، ولذلك نتساءل: كيف يحدث خطأ في التشخيص مع كفاءة الوسائل التشخيصية؟

بالتدقيق في دراسة معايير موت المخ في الدول والمراكز الطبية المختلفة نجد أن خطأ التشخيص قد ينشأ بسبب العامل البشري وليس بسبب وسائل التشخيص، ويمكن تفسير ذلك بالآتي:

١. عدم كفاية التدريب على وسائل تشخيص موت المخ. فليس شرطًا أن يكون من يقوم بالتشخيص ذا خبرة في مجال تخصُّصه (كتخصص التخدير والأعصاب والرعاية المركَّزة)، ولكن يجب أن يتدرب تدريبًا كافيًا على تشخيص موت المخ، خاصة أن كثيرًا من المراكز تعتمد على الاختبارات السريرية الإكلينيكية فقط والتي تخضع للعامل البشري في التقييم، والذي قد يكون شديد الصعوبة في حالات إصابات الحوادث التي تؤثِّر على الوجه.

٢. التعجُّل في التشخيص: وهذا التعجُّل معناه الاكتفاء ببعض المعايير وليس كلها، وعدم إعادتها بعد فترة زمنية مناسبة، ونحن لا نتَّهم أحدًا بعدم الأمانة، ولكن قد ينشأ هذا التعجُّل في رأيي بسبب:

(أ) اقتناع كثير من الأطباء أن الاختبارات السريرية حتى وإن لم تشخص يقينًا موت المخ الكلي، فهذه حالة ميئوس من شفائها لا يستطيع المخ معها أن يعمل كعضو فعَّال، كالحالة التي يُسمِّيها الطب الحياة النباتية (Vegetative Life)، وهي أقل درجة من الموت الكلي للمخ.

(ب) عدم الانتظار لفترة زمنية مناسبة لإعادة الاختبارات التشخيصية، إذا كانت هناك خطة لنقل الأعضاء من الميت مخيًّا، لكي لا تقل فرص نجاح العملية، فبعض المراكز الطبية مثلا يعتبر أن إعادة التشخيص بعد ست ساعات يكفي لتأكيد التشخيص، والبعض الآخر يوجب إعادة التشخيص بعد ٢٤ ساعة أو أكثر.

ولذلك يُنصَح لكي نتفادى خطأ العامل البشري في التشخيص الالتزام بالآتي:

١. من يقوم بالتشخيص يجب أن يكون متدرِّبًا تدريبًا كافيًا على تشخيص موت المخ.
٢. تعدُّد من يقوم بالتشخيص.
٣. تخصُّصات الأطباء الذين يقومون بالتشخيص يجب أن تضم بجانب أطباء الرعاية المركزة والتخدير والأعصاب تخصُّصات فسيولوجيا الأعصاب والأشعة التشخيصية؛ لأن هذين التخصُّصين ضروريان لتقييم الوسائل التأكيدية لموت المخ.
٤. الالتزام بجميع المعايير الموضوعة لموت المخ أي أنه يجب استيفاء الاختبارات التأكيدية التي لا تخضع للعامل البشري في التقييم، مثل اختبارات عدم وجود دورة دموية بالمخ.
٥. إعادة التشخيص بعد فترة زمنية مناسبة يتفق عليها، تكون كافية للتأكد من التشخيص.

الملخص

القسم الأول

أوضحنا فى التمهيد لموضوع الكتاب أن الحضارات الإنسانية والديانات المختلفة تكاد تجمع على تعريف الموت بأنه مغادرة الروح للجسد. وفي المقدمة الطبية شرحنا العلاقة بين القلب (الجهاز الدورى) والتنفس (الجهاز التنفسي) والمخ (الجهاز العصبي). وأوضحنا لماذا يعتبر الطب أن موت أي من هذه الأجهزة الحيوية يعتبر موتًا للجسد. ثم ذكرنا الهدف من هذا البحث وهو الربط بين المفهوم الديني للموت وهو مغادرة الروح للجسد. والمفهوم الطبي للموت وهو توقف أعضاء الجسم الحيوية عن العمل.

القسم الثاني

في الفصل الأول:

أوضحنا أن خلق الإنسان يمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة خلق جسد الجنين وتسويته ووجود سر حياة في خلاياه. وسر الحياة هذا موجود في سائر الكائنات الحية وليس الإنسان وحده.

المرحلة الثانية: مرحلة نفخ الروح في الجنين بعد تسويته وما بعدها. وهذه المرحلة خاصة بالإنسان وحده دون سائر المخلوقات.

كما أوضحنا أن سر حياة الخلية والروح هما شيئان ضروريان لحياة الكائن الإنساني. وكل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به. فاكتمال تسوية جسد الجنين شرط لازم لنفخ الروح فيه. كما أن سر حياة الإنسان يرتبط بوجود الروح فيه فإن غادرته الروح توقف سر حياة الإنسان.

في الفصل الثاني:

أوضحنا أن القرآن الكريم يبين لنا أن الموت هو مقابل أو نقيض الحياة. وبما أن الحياة تتكون من مرحلتين هما وجود سر الحياة في جسد الجنين (والموروث محمولاً في النطفة الحية) ثم مرحلة نفخ الروح وما بعدها. فإن الموت بالتالي يتكون من مرحلتين هما مغادرة الروح للجسد بالإضافة إلى توقف سر الحياة في الجسد.

في الفصل الثالث:

أثبتنا أن "الروح تغادر الجسد قبل توقف سر الحياة في الجسد عند الموت"، بدليل:

١. اعتمادًا على المنطق وقانون الأسباب فإن الروح تغادر الجسد قبل توقف سر الحياة في الإنسان. أي بالترتيب العكسي لما يحدث عند الخلق من وجود سر حياة في الجسد ثم نفخ الروح فيه.

٢. الروح تغادر الجسد قبل توقف سر الحياة في خلايا وأنسجة وأعضاء الجسم منفردة. مثل قرنية العين كما ذكرنا.

٣. الروح تغادر الجسم (تقبض) قبل توقف سر الحياة في المخ (وهذا نستدل عليه من أحاديث شخوص البصر عند الموت)

٤. الروح تترك مستقرها في الجسد قبل توقف سر الحياة في المخ والتنفس والقلب. وهذه الأجهزة كما ذكرنا هي الأجهزة الحيوية التي إذا توقف واحد منها عن العمل مات الإنسان (وذلك أتينا بالدليل عليه من حديث القرآن الكريم والحديث الشريف عن وصول الروح للحلقوم عند الموت).

في الفصل الرابع:

أثبتنا أن "الروح عند الموت "تغادر القلب قبل مغادرة المخ" وذلك أوضحناه من آيات القرآن الكريم التي تصف مغادرة الروح للجسد عند الموت في سورتي الواقعة والقيامة. ومن الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن وصول الروح للحلقوم وإغماض البصر عند الموت.

في الفصل الخامس:

أوضحنا أن "الوزر الشرعي الرئيسي والأساسي يقع على إزهاق الروح وليس إزهاق سر الحياة". فقد شرحنا أنه بالرغم من أن الله سبحانه وتعالى برحمته التي وسعت كل شيء قد كرم وكره إيذاء أي من مخلوقاته. فإن:

١. نفخ الروح في جسد الإنسان هو الذي أكسبه غاية التكريم. وذلك واضح في إضافة الروح لذات الله سبحانه وتعالى. وفي الأمر بسجود (وخضوع وتذليل) الكون كله وعلى رأسه الملائكة للإنسان.

٢. نفخ الروح في الإنسان هو الذي أعطاه أمانة القيام بالتكاليف الشرعية وتحملها.

٣. مغادرة الروح للإنسان أثناء النوم يسقط التكليف عن الإنسان.

٤. مغادرة الروح لمستقرها في الجسد ووصولها للحلقوم يسلب الإنسان حقه الشرعي في التوبة والوصية بما يملك.

٥. وجود الروح في الإنسان أوجب دية القتل الخطأ للإنسان وليس لأي كائن حي آخر.

٦. فهم علماء المسلمين على مر العصور هذا المعنى فجعلوا للجنين بعد نفخ الروح فيه:

(أ) دية القتل على من تسبب في إجهاضه وموته.

(ب) التغسيل والصلاة عليه ودفنه.

(ج) بعض العلماء أوجب أو استحب إخراج زكاة الفطر عنه وهو ما زال جنينًا في بطن أمه.

وبذلك استنتجنا أن التكريم الأساسي للإنسان هو بسبب وجود الروح فيه. كما أن التكاليف الشرعية أيضًا هي بسبب وجود الروح فيه. وبالتالي يكون الوزر الشرعي الرئيسي والأساسي مترتبًا على إزهاق الروح وليس إزهاق سر حياة الجسد المشترك بين جميع الكائنات الحية.

في الفصل السادس:

أوضحنا الفرق بين الوفاة والموت بدراسة آيات القرآن الكريم. وذلك باستخراج جميع الآيات التي ذكرت كلمتي الموت والوفاة باشتقاقاتهما المختلفة ثم التأمل في استخدام القرآن الكريم للكلمتين. ومن ثم استطعنا أن نتوصل إلى خمس حقائق توضح الفرق في المعنى بين الكلمتين.

الحقيقة الأولى: آيات توضح أن معنى كلمة الوفاة أو التوفي هو قبض الروح.

الحقيقة الثانية: آيات توضح أن الوفاة أو التوفي ليس هو هلاك أو إهلاك الجسد.

الحقيقة الثالثة: آيات توضح أن الوفاة والموت شيئان مختلفان. وبما أن آيات الحقيقة الأولى تثبت أن الوفاة هي قبض الروح. فبالتالي يكون الموت هو شيء مختلف عن قبض الروح أو ليس مجرد قبض الروح.

الحقيقة الرابعة: آية توضح أن الموت يتكون من مرحلتين هما: قبض الروح، ثم الموت الجسدي.

الحقيقة الخامسة: آيات توضح أن الموت (وليس الوفاة) هو المرحلة الأخيرة للإنسان في هذه الحياة الدنيا، والتي لا يكون بعدها عودة للجسد إلا بالبعث أو النشور.

في الفصل السابع:

أوضحنا أنه إذا استطاع الطب أن يجزم بموت "المخ الكلي" موتًا نهائيًا لا رجعيًا، فقد غادر مكونا الحياة الاثنان جسد الإنسان، أي "غادره الروح وغادره سر حياة الجسد". وبالتالي فإن هذا الإنسان الميت مخيًا هو إنسان "مُتوفى" بالمفهوم الديني كما أنه "ميت جسديًا" بتعريف الطب. وفي هذه الحالة فإن المتبقي هو حياة خلوية جزئية لأنسجة تعمل منفردة معتمدة على أجهزة صناعية، وهي أقل درجة من حياة النبات ومن حياة الحيوان ومن حياة الجنين داخل الرحم قبل نفخ الروح فيه، وهي شبيهة بعمل أجزاء الأجهزة الصناعية المفككة والتي لا تستطيع أن تعمل بشكل تكاملي لمصلحة الجهاز ككل بسبب فقد الترابط بين هذه الأجزاء. كما أوضحنا أن إيقاف أجهزة التنفس الصناعي والأدوية لا يمثل عائقًا يمنع رجوع الحياة أو الروح مرة أخرى للجسد.

القسم الثالث

وقد تضمن الإجابة على ثلاثة عشر سؤالاً تمثل النقاط الطبية التي ما زالت تثير الجدل بين البعض في تشخيص موت المخ.

المراجـــع

١. **الروح والنفس والعقل والقرين:** أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م.

٢. **الدار الآخرة والاستعداد للموت:** فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهري - أعده للنشر الشيخ محمد أبو العباس - دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣. **كتاب الروح:** للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية - حققه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر - دار الفجر للتراث - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٤. **الحياة البرزخية من الموت إلى البعث:** محمد عبد الظاهر خليفة - دار الاعتصام - ١٩٨٣م.

٥. **الروح والعلم القليل – مع موجز ونقد لكتاب الروح لابن القيم:** د. السباعي حماد - ٢٠٠٧.

٦. **التعايش مع السكتة الدماغية:** ر. سلنيك. ب. روسي . ك . دوغرتي - الدار العربية للعلوم - ترجمة مركز التعريب والترجمة - ١٩٩٥م.

٧. **أديان الهند الكبرى** - مقارنة الأديان - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الحادية عشرة - ٢٠٠٠ م.

٨. **قصة الديانات** - سليمان مظهر - مكتبة مدبولي - الطبعة الثانية - ٢٠٠٢م.

٩. **إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان:** د. محمد فياض - دار الشروق - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠. **الإنسان وعالم الملائكة:** أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - ٢٠٠٧م.

١١. **مجمع البحوث الإسلامية – قراراته وتوصياته في ماضيه وحاضره:** الجزء الأول - إعداد عبد الرحمن العسيلي . وماهر السيد حداد - السنة التاسعة والثلاثون - الكتاب الثاني ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

١٢. **لغز الحياة:** دكتور مصطفى محمود - دار أخبار اليوم.

١٣. **الفتاوى لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي:** أعده وعلق عليه وقدم له الدكتور السيد الجميلي - المكتبة التوفيقية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٤. **أسرار النوم – رحلة في عالم الموت الأصغر:** أ.د. أحمد شوقي إبراهيم - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - ٢٠٠٧م.

١٥. **صحيح مسلم بشرح النووي:** للإمام يحيى بن شرف النووي - تحقيق عبد العظيم بدوي، يحيى محمد سوس - دار ابن رجب - دار الفوائد - طبعة أولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٦. **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين:** للإمام أبي زكريا شرف النووي - تحقيق محمود المصري - مكتبة الجلد العربي - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤م.

١٧. **شرح رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووي:** شرحه فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - طبعة محققة ومخرجة الأحاديث وعليها تعليقات الشيخ الألباني على الأحاديث - مكتبة الإيمان.

١٨. **تيسير صحيح البخاري:** الدكتور موسى شاهين لاشين - مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٩. **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم:** وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - أعد فهارسه سيد عمران - دار الحديث - القاهرة - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠. **غريب الحديث لابن الجوزي:** وثق أصول الكتاب وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي- طبعة دار الكتب العلمية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢١. **النهاية في غريب الحديث والأثر:** للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري- ابن الأثير - تحقيق طاهر أحمد الزاوي . ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

٢٢. **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري - دار صادر بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣م.

٢٣. **السيرة النبوية:** لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري - تحقيق محمد شحاتة إبراهيم - دار المنار للطباعة والنشر.

٢٤. **الرحيق المختوم – بحث في السيرة النبوية:** تأليف صفي الرحمن المباركفوري - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٥. **الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تقديم هشام سمير البخاري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - طبعة أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٦. **تفسير الجلالين:** للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي - مكتبة الصفا- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٧. **تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل القرآن:** للإمام ابن جرير الطبري - تحقيق أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨. **صفوة التفاسير:** محمد علي الصابوني - دار الصابوني - الطبعة التاسعة.

٢٩. **تفسير ابن كثير:** تحقيق العلامة محمد ناصر الألباني - خرج أحاديثه محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة . وخالد بن محمد بن عثمان - مكتبة الصفا - ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٣٠. **البداية والنهاية:** للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - خرج أحاديثه الشيخ محمد بيومي، أ. عبد الله المنشاوي، أ. محمد رضوان مهنا - مكتبة الإيمان.

٣١. **قصص الأنبياء والتاريخ:** د. رشدي البدراوي - الجزء الأول - الطبعة الثانية - ٢٠٠٤م - طبع بمطابع الجزيرة إنترناشيونال.

٣٢. **أبى آدم – قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة:** الدكتور عبد الصبور شاهين -دار أخبار اليوم.

٣٣. **من هدي الإسلام فتاوى معاصرة:** الدكتور يوسف القرضاوي - دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت - الطبعة الحادية عشرة - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٣٤. **فقه السنة:** السيد سابق - دار الفتح للإعلام العربي - الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٥. **تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة:** كتاب العبادات - كتبه أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي - قدم لبعض أجزائه الشيخ أبو إسحاق الحويني، والشيخ محمد صفوت نور الدين - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٣٦. **المحلَّى لابن حزم:** تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٧. **صحيح البخاري:** للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - دار أخبار اليوم.

٣٨. **صحيح مسلم:** للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم - مكتبة الصفا الطبعة الأولى - ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٣٩. **الجامع الصحيح- سنن الترمذي:** محمد بن عيسى الترمذي السلمي - المترجم خليل مأمون شيحا - الناشر دار المعرفة - الطبعة الأولى - ٢٠٠٢م.

٤٠. **سنن النسائي- المجتبى من السنن:** المؤلف أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - تحقيق عبد الفتاح أبو غدة - الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها - الناشر مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٤١. **سنن النسائي الكبرى:** أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري . وسيد كردي حسن - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٢. **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - يلحق به تعليقات كمال يوسف الحوت - والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها - دار الفكر.

٤٣. **سنن ابن ماجة:** محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي - والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها - دار الفكر - بيروت.

٤٤. **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** ترجمة وتحقيق عبد القادر الأرناؤط - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - ٢٠٠٥م.

٤٥. **صحيح ابن حبان:** محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - تحقيق شعيب الأرناؤط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٦. **مستدرك الحاكم – المستدرك على الصحيحين:** محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٤٧. **سنن البيهقي الكبرى:** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - تحقيق عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م.

٤٨. **السلسلة الصحيحة للألباني:** محمد ناصر الألباني - الناشر مكتبة المعارف - الرياض.

٤٩. **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته:** محمد ناصر الألباني - الناشر المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن - طبعة أولى ١٤٢١هـ

1. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8% B1% D9% 88% D8% AD:/google.com

الروح عند اليهودية

2. **Physiology in Medical Practice, The Central Nervous System**: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah Office Press, 2003.
3. **Gray's Anatomy**: Edited by Roger Warwick, Peter C. William, 35th edition-Longman group Ltd, 1975 Edinburgh- Great Britain
4. **Critical Care Medicine**: Michael J. Murray Editors Douglas B. Coursin, Ronald G. Pearl, Donalds Prough: American Society of Critical Anesthesiologists 2nd edition, 2004, by Lippincott Williams and Wilkins, Philadelphia USA.
5. http:// ar.wikipedia.org/wiki/%D9% 85% D9% 88% D8% AA/google.com

الموت في الديانات المختلفة

7. www.islamic medicine .org/views:htm/google.com

قتل الرحمة (euthanasia)

موت الدماغ من منظور إسلامي

شيخ الأزهر للأطباء: إياكم وقتل الرحمة

8. http://www.menzies foundation.org.au/ google.com: Summit meeting to investigate the establishment of a national human tissue processing centre in Australia 11th Nov 1999.
9. **Histology for Medical Students**: By Prof. Zakaria Abdel-Hamid. New edition by Dar Al-Shaab for Press, Printing and Publishing
10. http:// Content.nejm.org/cgi/content/full/350/7/694 google.com: The use of non-heart beating donors for isolated pancreatic islet transplantation.
11. http:// content.nejm.org/cgi/content/abstract/343/7/468 google.com: Successful hand transplantation. one year follow-up.
12. http://www.chrcrm.org/main/modules/pageworks/index.php?id=216&page =011 google.com: First sciatic nerve transplantation
13. **Forensic Pathology**: The Pathophysiology of Death. Bernard Knight-2nd edition, Arnold - London, 1997.
14. **Basics of Forensic Medicine and Toxicology**: By Prof. Aly Gamal El-Din, Printed by Golden Media 2006-2007.
15. http://en.wikipedia.org/wiki/death-and-dying: Death and dying google.com
16. http://www.bbc.co.uk/dna/h2g2/A2451683: google.com The process of death and decomposition
17. http://www.en.wikipedia.org/wiki/clinical death 72k: google.com Clinical death
18. **Brain Death Worldwide**: Accepted fact But No Global Consensus on Diagnostic Criteria: Wijdicks E., Neurology, 58: 20-25, 2002.
19. Physiology in Medical Practice, Metabolism: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 1990.

20. Physiology in Medical Practice, The Cardiovascular System: By Salah Abu-Sitta, Adel Shalaby, Abdel Rahman Abdel Mottaleb. Printed by El Nagah office Press, 2003.
21. http://db.datex-ohmeda.com/evadb/fi3037.nsf/... Endocrine, Immune and Metabolic Response to Surgery—under Google.com
22. http://www.braindeath.org/clinical.htm. Hypothermia in brain death. Clinical Exam -under Google.com
23. http://www.medscape .com/view article/405581—2. Extradural Neural Axis Compartment: Conclusions —under Google.com
24. http://www.saclinpath.co.za/documents/polyur.doc. Diabetes Insipidus (DI) —under Google.com
25. ... books.google.com.eg/books?isbn=1416042520. Critical Care Nephrology Claudio Ronco, Rinaldo Bellomo, John A kellum - 2008. Under Google.com— ADH in brain dead
26. ... books.google.com.eg/books?isbn=0198569467. Clinical Pathology James Carton, Richard Daly, Pramila Ramani - 2007 - under Google.com — Extracranial production of ADH.
27. Acta Anaesthiologica Scandinavica, Vol 52, No 5, pp 621 - 627, 2008. Does brain death induce a pro-inflammatory response at the organ level in a porcine model?
28. A. Barklin, A. Carsson, C.Vestergaard, J. Koefoed - Nielsen, A. Batch, R. Ny boe, L. Wogensen & E. Tonnesen.
29. Saudi Journal of kidney Diseases and Transplantation, Vol 8, No 1, pp 21-31, 1997. Management at Brain-Dead organ Donors. Fizgerald RD.
30. European Neurology, Vol 49, No 2, 2003. Survival of Cardiac Function After Brain Death in Kuwait. S. Al-Shammri, R.F. Nelson, R. Madavan, T.A. Subramaniam & T.R. Swaminathan.
31. Canadian Journal of Anaesthesia, Vol 37, No 7, October 1990. Anaesthetic management of the brain-dead for organ donation, Adrian W. Gelb and Kerri M. Robertson.
32. William's Obstetrics, Cunningham, Mac Donald, Gant, Leveno, Gilstrap. 19th edition - Printice - Hall International Inc., 1994. Printed in Egypt by Elias Modern Press.
33. The Canadian Journal of Neurological Sciences - Vol 36, No. 2, pp 154-160, March 2009 - Movements in Brain Death: A Systematic Review, Gustavo Saposnik, Vincenzo Basile, G. Bryan Young.
34. Journal of Neurosurgery, Vol 71. No.3, Sept 1989, Lazarus Sign and Extensor Posturing in a Brain-Dead Patient. Case report. Luc Heytens, Jan Verlooy, Jan Gheuens, and Leo Bossaert.
35. European Journal of Neurology, Vol1, 1 PP 723-727, 2004- Undulating Toe Movements in Brain Death. G.Saposnik, J. Mauino, R.Saizar, and J.A.Bueri.
36. Neurocritical Care, Vol3, No.2 pp122-126, October 2005. Brain Death-Associated Reflexes and Automatisms. Jain, Samay; De Georgia, Michael.
37. CC Nurse Journal Logo, Vol19, No2, April 1999. Determining Brain Death Jacqueline Sullivan, Debbiel Seem, and Franki Chabalewski.
38. Journal of Neurotrauma, Vol 18, No.1, pp57-71, 2001. The Impact of hypercarbia on the evolution of brain injury in a porcine model of traumatic brain injury and systemic hemorrhage. Glass Todd F, Fabian Mathew J., Schweitzer John B., Weinberg Joseph A., Proctor Kenneth G.
39. British Medical Journal, Vol 286, Jan 1983. ABC of Brain Stem Death. The Arguments about the EEG. Christopher Pallis.
40. Radiology, Vol 179, pp 95-99, 1991. Assessment of Brain Death in Childrem by mean of P-31 MR Spectroscopy, Toshinori Kato, Aya Tokumaru, Toshihiro O'uchi, Ichiro Mikami, Masahiro Umeda, Koichio Nose, Tsuneyoshi Eguchi, Motohiro Hasegawa, Kazuo Okuyama.

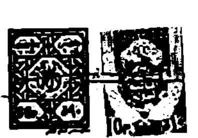
الفهـرس

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translatio

الأزهـــــر
مجمـع البحـوث الاســـلامية
الادارة العــــامة
للبحـــوث والتـــأليف والترجمـــة



١٤٥٢٠
١٨/٢٠٠٩

السيد / الدكتور / صلاح علي نسند

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الوفاة الإكلينيكية ومعالاقتراب بخروج الروح تأليفكم ١٣٦ صفحة ...

نفيد بأن الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعــه على نفقتــكم الخــاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

واللـــه المـوفق ،،،

والسـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عــام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

ضياء الدين محمد

تحريرا في / / ١٤ هـ
الموافق ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٩م

يعتمد

الأمين المساعد للثقافة للنشر

الأمين العام

٢٠٠٩/٣/٢



هذا الكتاب يجيب على الأسئلة الآتية:

- ما هي مراحل خلق الإنسان؟ وما هي مراحل الموت؟

- أيهما الأسبق بمغادرة الجسد عند الموت: الروح أم سر حياة الجسد؟

- هل كل متوفَى ميت؟ وما هو الفرق بين الموت والوفاة؟

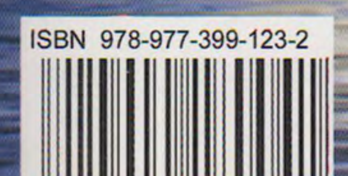
- هل يحس الإنسان الميت مخيًا بالألم مما يستلزم تخديره أثناء عمليات نقل الأعضاء؟

- هل يمكن أن يُحرِّك الميت إكلينيكيا بعض أجزاء جسمه؟

- كيف يستمر الجنين حيًا في بطن المرأة الحامل بعد موت المخ؟

- هل عاد إلى الحياة أي شخص بعد تشخيص موت المخ؟

- هل يستريح ضميرك لفصل جهاز التنفس الصناعي بعد موت المخ؟


ISBN 978-977-399-123-2



